

مشروع تحديات الانتقال في سوريا

تقرير مشروع بحثي (2)

انتخابات مجلس الشعب السوري ٢٠٢٠: نحو انكماش القاعدة الاجتماعية للنظام

زياد عواد وأغنيس فافييه، معهد الجامعة الأوروبية

للاستشهاد: زياد عواد وأغنيس فافييه، أكتوبر / تشرين الأول 2020 " انتخابات مجلس الشعب السوري ٢٠٢٠: نحو انكماش القاعدة الاجتماعية للنظام"، مشروع تحديات الانتقال في سوريا، مركز جنيف للسياسات الأمنية ومعهد الجامعة الأوروبية - مسارات الشرق الأوسط، تقرير المشروع البحثي رقم 2.

مركز جنيف للسياسات الأمنية

مركز جنيف للسياسات الأمنية هو مؤسسة دولية تأسست في عام 1995، بعدد أعضاء قدره 53 دولة، لغرض رئيسي هو تعزيز السلام والأمن والتعاون الدولي عن طريق تعليم المهارات التنفيذية وبحوث السياسات التطبيقية والحوار. يتولى مركز جنيف للسياسات الأمنية تدريب المسؤولين الحكوميين الدبلوماسيين، الضباط العسكريين، موظفي الخدمة المدنية الدولية، موظفي المنظمات غير الحكومية، القطاع الخاص في المجالات ذات الصلة بالسلام، والأمن الدوليين.

معهد الجامعة الأوروبية - مسارات الشرق الأوسط:

معهد الجامعة الأوروبية هو مركز دولي فريد لدراسات وبحوث الدكتوراه وما بعد الدكتوراه، ومقره في فلورنسا، إيطاليا. ومنذ تأسيس المعهد في عام 1972 من قبل الأعضاء الستة الأصليين فيما عرف وقتها باسم الجماعات الأوروبية، ذاع صيته بوصفه مؤسسة أكاديمية دولية رائدة تركز على الشأن الأوروبي. وقد أنشئ برنامج مسارات الشرق الأوسط في يناير 2016 ضمن إطار مركز روبرت شومان للدراسات المتقدمة في معهد الجامعة الأوروبية. ويهدف البرنامج إلى أن يكون نقطة مرجعية دولية للأبحاث التي تتناول الشرق الأوسط وشمال أفريقيا بدراسة الاتجاهات والتحولات الاجتماعية السياسية والاقتصادية والدينية التي تشهدها المنطقة، وذلك عن طريق تشجيع الأبحاث المتعددة التخصصات والقائمة على نتائج العمل الميداني والتعاون مع باحثي المنطقة.

مشروع تحديات الانتقال في سوريا

مشروع متعدد الأطراف للحوار والبحث يهدف إلى بناء الجسور بين الاتحاد الأوروبي وروسيا وتركيا والولايات المتحدة بشأن قضايا ثلاث، هي: الإصلاح، عودة اللاجئين، وإعادة الإعمار. يدير المشروع مركز جنيف للسياسات الأمنية بالتعاون مع معهد الجامعة الأوروبية والمركز السوري لبحوث السياسات والمؤسسة السويسرية للسلام "سويس بيس".

المحررون:

فريق دوكستريم.

المؤلفان

زياد عواد

زياد عواد صحافي وباحث سوري يعمل في مشروع "زمن الحرب وما بعد الصراع في سوريا"، ضمن برنامج مسارات الشرق الأوسط الذي يُشرف عليه مركز روبرت شومان للدراسات العليا، في معهد الجامعة الأوروبية في فلورنسا.

أغنيس فافيه

أغنيس فافيه باحثة وأستاذة بدوام جزئي في معهد الجامعة الأوروبية، تدير "مبادرة سوريا" ومشروع "زمن الحرب وما بعد الصراع في سوريا" ضمن برنامج مسارات الشرق الأوسط الذي يُشرف عليه مركز روبرت شومان للدراسات العليا.

الأفكار المعبر عنها تخص المؤلفين وحدهما ولا تخص الناشر.

نُشرت في أكتوبر / تشرين الأول 2020

جميع الحقوق محفوظة لمركز جنيف للسياسات الأمنية

جدول المحتويات

4	ملخص تنفيذي.....
6	مقدمة.....
8	الجزء الأول: البعث المهيمن والضعيف.....
10	الانتخابات التمهيدية داخل حزب البعث: محاولة فاشلة لإحياء الحزب؟.....
12	تحولات نسبية في كتلة البعث.....
12	داخل البعث... مسارات صعود فاعلين من خارجه.....
13	استقطاب البعث مزيداً من المقاتلين العسكريين والأمنيين.....
15	التمثيل النسائي: احتكار حزب البعث.....
17	الجزء الثاني: تغيرات في التمثيل الطائفي والعائلي.....
17	المزيد من المقاعد للأقليات.....
21	اضطراب التمثيل السني وضعفه.....
21	انقطاع التمثيل الديني السني.....
22	الانصراف عن العشيرة.....
24	الجزء الثالث: التأثير المتجدد والمتضخم لاقتصاد الحرب.....
25	الإبقاء على رجال الأعمال النافعين.....
26	المزيد من الأثرياء الجدد في مجلس الشعب.....
31	الجزء الرابع: مراكز القوى والتدخل الأجنبي.....
31	نواب القصر الجمهوري والسيدة الأولى.....
33	نواب الفرقة الرابعة.....
33	نواب إيران.....
35	خاتمة.....

ملخص تنفيذي

في ظل أزمة اقتصادية غير مسبوقه، أُجريت انتخابات مجلس الشعب السوري في تموز 2020 بعد أن تأجلت مرتين عن موعدها السابق احترازاً من تفشي جائحة كورونا. وبالرغم من أن شعارات الحملة الانتخابية التي أطلقها المرشحون، لا سيما المستقلون منهم، تركزت حول الهم الاقتصادي، واقتربت بمساهمات خيرية دعائية من المرشحين، إلا أنها لم تجعل الانتخابات محل اهتمام لدى أغلبية السكان في مناطق سيطرة النظام.

وكما المعتاد، سيطر حزب البعث على أغلبية المقاعد في المجلس المتشكل، وبحضور ضئيل إلى جانبه تمثلت بعض الأحزاب الهامشية المتحالفة معه ضمن ما يعرف بالجهة الوطنية التقدمية التي يقودها البعث نفسه، في حين احتل المستقلون المرتبة الثانية من حيث عدد المقاعد بعد أعضاء البعث، مع التذكير بأن الفرز على أساس الانتماء السياسي لا يُحيل إلى معانٍ سياسية متباينة في الموقف تجاه النظام، فالولاء له شرط بديهي يجب أن يتحقق في حالة جميع الأعضاء الـ ٢٥٠ بل وحالة جميع المرشحين.

بالرغم من احتفاظ حزب البعث باحتكار العدد الأكبر من مقاعد مجلس الشعب، إلا أن الانتخابات أظهرت عجز قيادته عن إحياء الحزب كأداة سياسية فاعلة وقادرة بقواها الذاتية على التأثير. فقد كشفت تجربة الانتخابات التمهيدية لاختيار مرشحي الحزب ضالّة المشاركة فيها، فضلاً عن اتهامات الفساد والاعتراضات الواسعة التي طالتها داخل الحزب من جهة، وعجز الحزب عن دفع الناس إلى التصويت وفق ما تثبتت نسب المشاركة – الأدنى من أي انتخابات سابقة – من جهة أخرى. وأفرزت محاولات تجديد أعضاء مجلس الشعب المزيد من التناقضات، التي تجسدت باتساع الطيف العسكري وشبه العسكري في كتلة أعضاء الحزب (مع صعود الضباط المتقاعدين من الجيش والشرطة) وتساعد تأثير رأس المال (مع المزيد من رجال الأعمال) وتأثير مراكز قوى خارج الحزب (مع دخول ناشطين في الحقل الخيري والتنموي مدعومين من أسماء الأسد)، وهو ما خلق كتلاً غير متجانسة ضمن كتلة البعث النيابية التي تعبر إلى حد كبير عن واقع الحزب كله اليوم، ليبدو أضعف مما كان قبل اندلاع الثورة.

وفق المؤشرات التي أظهرتها الانتخابات، لم تكن مقارنة النظام نحو مواليه واحدة، فبينما أبدى حرصاً واضحاً على تمثيل النخب التقليدية من الأقليات، وتمثيل الناشطين في قضايا جرحى الحرب وعائلات القتلى من الجنود منها، إلا أنه لم يكن مبالياً بتمثيل النخب التقليدية الموالية من العرب السنّة، حيث تناقص عدد شيوخ العشائر، وغاب التيار الديني السنّي نهائياً عن المجلس، رغم الأدوار التي ما يزال يؤديها القادة الرسميون لهذا التيار. ويبدو أن أثرياء الحرب وقادة الميليشيات والضباط المتقاعدين هم البديل الذي اختاره النظام ليقود الأوساط الموالية في المجتمعات العربية السنّية في المناطق الخاضعة لسيطرته.

في وقت تراجع فيه حدة النزاع المسلح وتصاعدت التحديات الاقتصادية، عكست نتائج الانتخابات سعي النظام لتوسيع شراكته مع أثرياء الحرب، الذين أضفوا على مجلس الشعب ٢٠٢٠ صبغة أموال الحرب. فقد تزايد عدد رجال الأعمال إلى ٤٣ عضواً في دورة ٢٠٢٠، بينهم ٣٠ يدخلونه لأول مرة. ومع استبعاد رجال أعمال بارزين في دمشق وحلب، لم يكن معظم رجال الأعمال الفائزين يحظون بشهرة واسعة في وسط الأعمال قبل ٢٠١١ أو قبل وصولهم إلى مجلس الشعب، فقد راكم هؤلاء ثرواتهم أو الجزء الأكبر منها خلال الحرب، بالالتكاء على العلاقات الوثيقة التي تربطهم بمراكز القرار في دوائر النظام، ومن خلال العمل بأربعة مجالات رئيسية غير منتجة ازدهرت في ظل الحرب، هي أعمال التهريب، ومقاولات البناء

وتجارة الغذائية، والوساطة المالية. وبالمقارنة مع الانتخابات السابقة عام ٢٠١٦، حين كان انخراط بعض رجال الأعمال في الأنشطة العسكرية والأمنية الرصيد الأهم الذي أهلهم للوصول إلى مجلس الشعب، أصبحت الخدمات الاقتصادية التي قدمها الطامحون منهم بالفوز بعضوية مجلس ٢٠٢٠ في المقدمة. فقد شارك معظمهم في الحملات الوطنية التي أطلقتها الحكومة لمواجهة جائحة كورونا أو لدعم الليرة السورية، أو في تقديم الخدمات المتنوعة في مناطقهم، في وقت تعاني فيه مؤسسات الدولة من العجز عن تلبية الاحتياجات الأساسية للسكان. قد تشير الزيادة الكبيرة في تمثيل رجال الأعمال بمجلس ٢٠٢٠ إلى عزم النظام على إشراكهم في محاولات النجاة من تأثيرات الأزمة الاقتصادية المتفاقمة.

أخيراً، كشفت انتخابات ٢٠٢٠ عن جانب من التغيرات التي حدثت في الحلقة الحاكمة العليا المحيطة ببشار الأسد، فقد غاب عنها تأثير رجل الأعمال رامي مخلوف، ابن خال الأسد، وتساعد بوضوح دور أسماء الأسد زوجة بشار، ولا سيما من خلال وصول ناشطين في الحقل الخيري والتنموي محسوبين عليها إلى المجلس، بالإضافة لانتخاب أو إعادة انتخاب أعضاء آخرين مرتبطين مباشرة بموظفي القصر الجمهوري أو بالزوجين الرئيسيين. وبرز تأثير أسماء الأسد في دوائر دمشق وطرطوس وريف دمشق على وجه خاص، في حين حافظ ماهر الأسد، شقيق بشار وقائد الفرقة الرابعة، على نفوذه بكتلة متجددة من التجار والمهريين المرتبطين بالشبكة الاقتصادية الخاصة بهذه الفرقة، وبما يتناسب مع خريطة انتشارها في ريف دمشق وأجزاء من محافظتي الرقة ودير الزور. وبأهداف ومصالح متنوعة، تجدد التدخل الإيراني، حيث تلقى ما لا يقل عن ١١ عضواً دعماً واضحاً من الإيرانيين لدخولهم مجلس الشعب عام ٢٠٢٠ (ليصعد من ٨ أعضاء تقريباً في دورة ٢٠١٦). وتركز التأثير الإيراني في المناطق المحاذية لنهر الفرات، في دائرة مناطق حلب خصوصاً ثم الرقة ودير الزور شمال شرقي البلاد.

مقدمة

في ١٩ تموز ٢٠٢٠، أجرت الحكومة السورية انتخابات مجلس الشعب لجميع الدوائر الانتخابية، حتى تلك الخارجة عن سيطرتها العسكرية. ورغم تأجيلها مرتين عن الموعد المحدد مسبقاً في نيسان من العام نفسه، كإجراء وقائي لمكافحة جائحة كورونا، إلا أن الحكومة السورية أكدت تمسكها بالانتخابات، سعياً منها لإثبات التزامها بالاستحقاقات الدستورية وتمتعها في الوقت نفسه بالقوة والشرعية. فمُنذ آذار ٢٠١١، نظّمت السلطة ثلاث دورات انتخابية لمجلس الشعب (كانت هذه آخرها بعد انتخابات ٢٠١٢ و ٢٠١٦) بالإضافة إلى انتخابات رئاسة الجمهورية عام ٢٠١٤، ودورتين انتخابيتين لمجالس الإدارة المحلية (٢٠١١ و ٢٠١٨).

منذ عقود، لم يتمتع مجلس الشعب بدور يُذكر في عملية صنع القرار السياسي، ولكن قد يكون لمجلس ٢٠٢٠ دور خاص في التعاطي مع انتخابات رئاسة الجمهورية المقررة عام ٢٠٢١، في حال اغتتم المجتمع الدولي فرصة هذه الانتخابات للضغط على النظام باتجاه المضي في مسار تفاوض جدي يفضي إلى انتقال سياسي. ورغم الأهمية المحتملة لانتخابات الرئاسة المقبلة، تبقى لأزمات الحاضر الأولوية لدى النظام، الذي يواجه تحديات اقتصادية كبرى أفرزتها سنوات الحرب، وفقدان الثروات الوطنية، والعقوبات الدولية المشددة، في حين بات من المستبعد أن يكون لتقدمه العسكري المتواصل أي أثر سياسي على المدى القريب. وفي الظروف الخاصة للأزمة الاقتصادية والصحية التي تطل معظم السكان في منطقة سيطرة النظام، لم تتجح انتخابات ٢٠٢٠ في حشد سوى القليل جداً من المرشحين والناخبين.

لكن وضع انتخاب مجلس الشعب في سياق سلطوي – في زمن الصراع كما في زمن السلم – يظل مهماً لفهم أولويات النظام السوري القائمة على إعادة تشكيل قاعدته الاجتماعية، من دائرة انتخابية إلى أخرى من الدوائر الـ ١٥ التي تغطي كامل الخريطة الجغرافية للبلاد.¹ انطلاقاً من دراسة عن انتخابات مجلس الشعب عام ٢٠١٦، تحاول هذه الورقة البحثية أن تقدم تحليلاً شاملاً لتكيفية المجلس الجديد، ورسم الملامح التفصيلية لهذا المجلس الذي يعبر عن شبكات وظواهر أوسع، على أمل التوصل إلى تحديد دقيق للدلالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي كشفت عنها هذه الانتخابات، وبما يعكس جانباً من الخصائص الحالية للنظام الحاكم في دمشق وطبيعته والتغيرات التي طرأت على هذه الطبيعة إن وجدت.

استندت هذه الدراسة إلى مصادر عدة، كالتصريحات الرسمية التي أدلى بها أعضاء اللجنة القضائية العليا للانتخابات؛² والبيانات الرسمية التي نشرها حزب البعث عن انتخاباته الخاصة وعن مرشحيه الأوليين والنهائيين؛ والبيانات التي نشرها النواب الفائزون من مختلف الانتماءات السياسية عن أنفسهم، ومعهم عدد أكبر من المرشحين من مختلف الدوائر؛ والتغطيات الإخبارية عن الانتخابات لوسائل الإعلام الرسمي والموالي للنظام. وتوسّع الباحثان في رصد الصفحات الشخصية والعامّة وذات الصلة في فيسبوك للنواب الفائزين ولبعض المرشحين المنافسين، ورصد المحتوى المنشور سابقاً عن النواب في المواقع الإلكترونية الخاصة والرسمية لبعض الوزارات وغرف التجارة والصناعة والنقابات، وبعض النسخ المتاحة من الجريدة الرسمية، إضافة إلى مواقع أرشيفية تخصصية، مثل بعض نسخ دليل الشركات والمنشآت الاقتصادية المرخصة في سوريا. ولتكوين قاعدة بيانات عن جميع النواب الـ ٢٥٠ الفائزين، قام الباحثان وبدءاً من

¹ زياد عواد وأغنيس فافيه، "الانتخابات في زمن الحرب: مجلس الشعب السوري ٢٠١٦-٢٠٢٠"، تقرير مشروع بحثي (فلورنسا، إيطاليا: مشروع "زمن الحرب وما بعد الصراع في سوريا")، معهد الجامعة الأوروبية، نيسان ٢٠٢٠، <https://bit.ly/2L6H6p6>.

² حتى آخر معاينة للباحثين في موقع اللجنة القضائية العليا للانتخابات في منتصف شهر أيلول ٢٠٢٠، لم تنشر اللجنة بيانات خاصة بانتخابات تموز ٢٠٢٠ على موقعها الإلكتروني، واكتفى رئيسها ورؤساؤها الفرعيون بالإدلاء بتصريحات صحفية، قبل وبعد يوم الانتخابات.

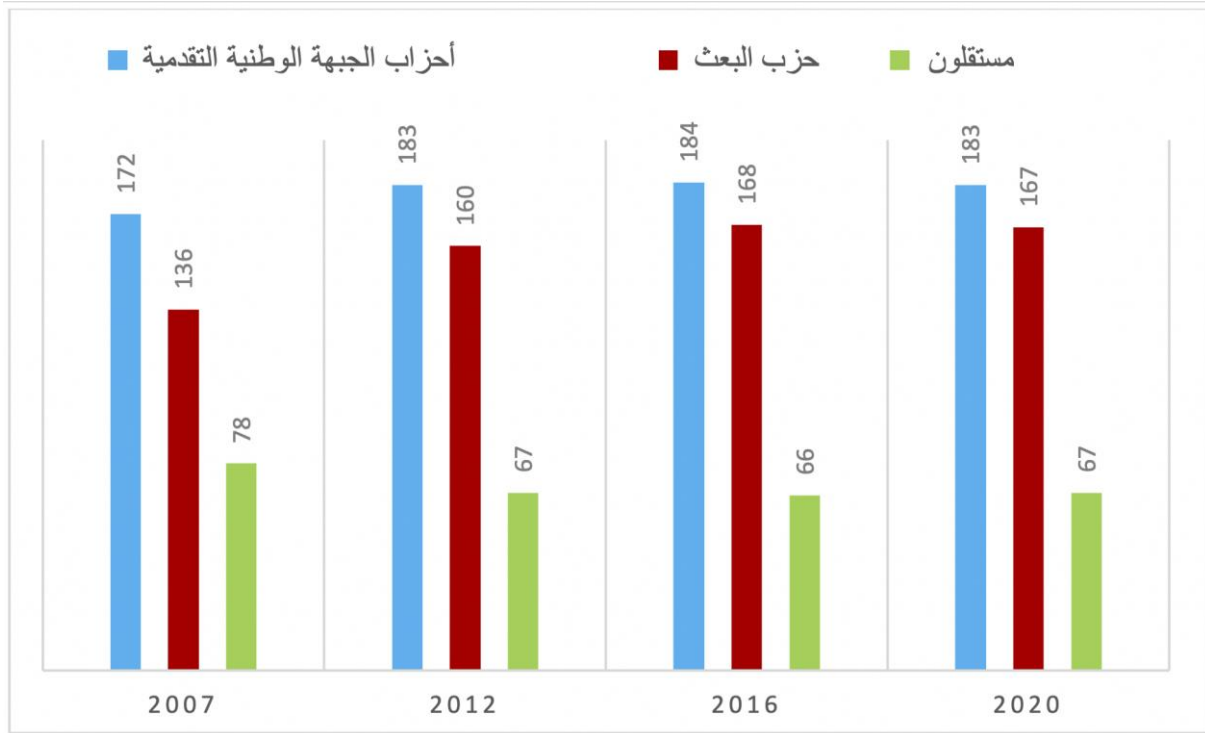
الانطلاقة الرسمية للحملة الانتخابية (آذار ٢٠٢٠ مع إقبال باب الترشيحات) وحتى شهر آب من العام نفسه، بإجراء لقاءات معظمها عبر الإنترنت مع ٩٠ شخصاً يتمتعون بصلات مباشرة أو غير مباشرة مع المرشحين الفائزين. وتضمنت قاعدة البيانات المستخلصة المعطيات التالية: الأصل الجغرافي وتاريخ الولادة، والطائفة، والمؤهل العلمي، والمهنة والأعمال السابقة، والبيئة العائلية، والأنشطة العامة، وأشكال الدعم والعلاقات التي يتمتع بها النواب من مصادر مختلفة³ وتجدر الإشارة إلى أن هذه اللقاءات كانت مصدر جميع المعلومات التفصيلية في الأمثلة المستخدمة في هذا البحث، ما لم تُشير الهوامش إلى مصادر أخرى.

³ استندت الدراسة السابقة للباحثين عن مجلس الشعب دورة ٢٠١٦، إلى الملفات التعريفية لـ ٢٠٠ عضو فقط، ما يجعل المقارنة بين الدراسة الحالية التي اعتمدت على بيانات جميع النواب الـ ٢٥٠ والدراسة السابقة غير ممكنة في بعض الحالات.

الجزء الأول: البعث المهيم والضعيف

خلال الصراع، وبعد أن فقد النظام السوري فائض القوة الذي كان يتمتع به من قبل، معتمداً على أجهزة المخابرات من جانب وعلى انصياع معظم السكان آنذاك من جانب آخر، تجددت حاجة النظام إلى حزب البعث الذي عمقت الثورة والحرب أزماته. استجابة لهذه الحاجة، تشكلت في تموز ٢٠١٣ قيادة مركزية (قُطرية حينذاك) جديدة بالكامل لحزب البعث، بدأت بـ"مراجعة جميع التجارب والسياسات التنظيمية التي أوصلت الحزب إلى ما وصل إليه"⁴ وفق شرح يوسف أحمد، رئيس مكتب التنظيم في القيادة الجديدة. وعكست تركيبة قوائم النواب البعثيين في مجلس الشعب، والتي شكلتها هذه القيادة في دورتي ٢٠١٦ ثم ٢٠٢٠، جانباً مهماً من الاستراتيجية المعتمدة لإحياء الحزب أو النهوض به، متكئة على استفراد الحزب وهيمنته المستمرة على مؤسسات الدولة وهيئات المجتمع.

الرسم ١: توزع أعضاء مجلس الشعب بحسب انتمائهم السياسي في الدورات (٢٠٠٧-٢٠٢٠)



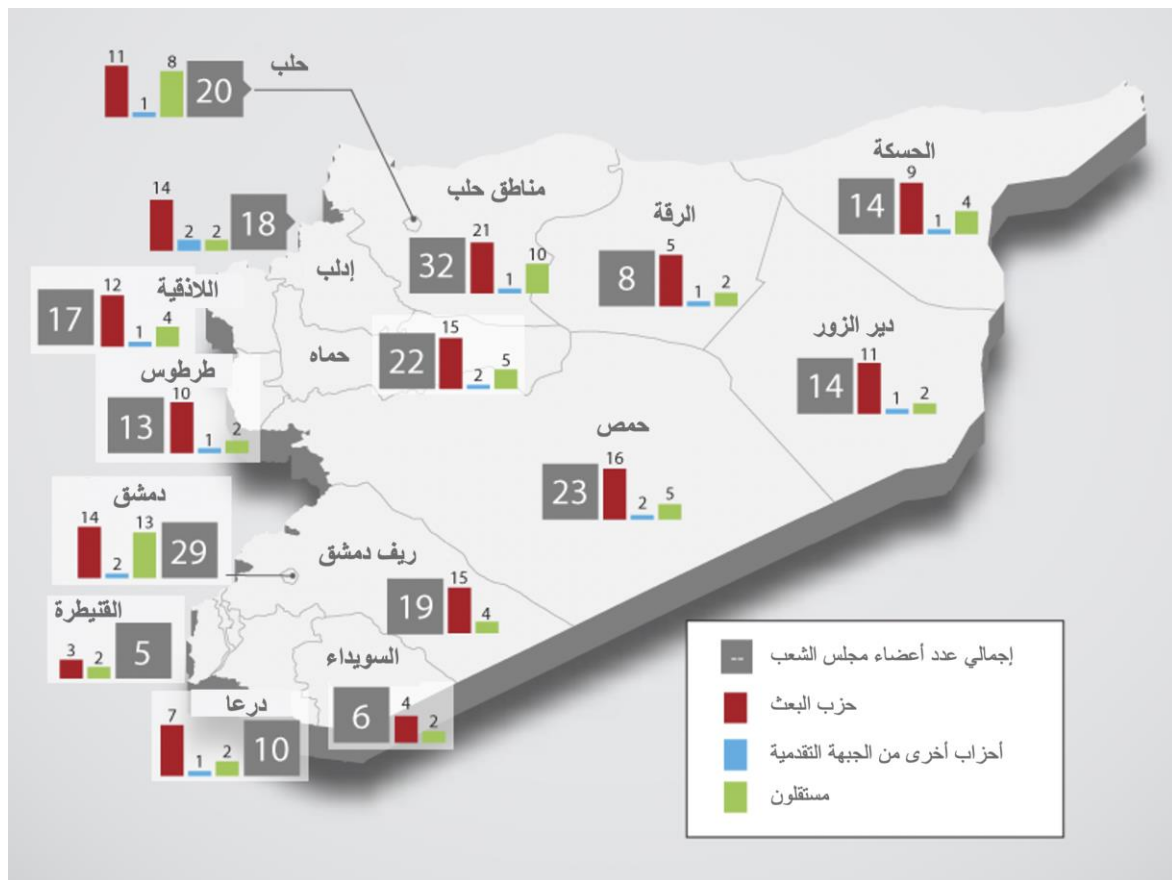
المصدر: المؤلف (بناءً على مصادر رسمية وحزبية)⁵

⁴ جريدة البعث، "الرفيق يوسف أحمد عضو القيادة القطرية - رئيس مكتب التنظيم: نحن أبناء حزب لا يفاوض على مبادئه ولا يفرط بالثوابت"، ٧ نيسان ٢٠١٨، <https://bit.ly/2HVEOLb>.

⁵ استند الرسم البياني الخاص بانتخابات ٢٠٢٠، على منشورات وسائل الإعلام التابعة لحزب البعث وأحزاب الجبهة الوطنية التقدمية. واستند الرسمان البيانيان لانتخابات العامين ٢٠١٢ و ٢٠١٦ على قاعدة بيانات مجلس الشعب المتاحة على الرابط <https://bit.ly/3j7ORde>. واستند الرسم البياني الخاص بانتخابات ٢٠٠٧ على المحتوى المنشور بموقع القيادة القومية لحزب البعث "انتخابات الدور التشريعي التاسع لمجلس الشعب في سوريا" على الرابط <https://bit.ly/2H0NMqu>.

فكما كان الحال في انتخابات مجلس الشعب السابقة،⁶ فاز جميع المرشحين ضمن قوائم الوحدة الوطنية التي شكلتها القيادة المركزية لحزب البعث، والتي ضمت ١٦٧ مرشحاً عن حزب البعث ومعهم ١٦ مرشحاً آخر من الأحزاب الصغيرة المنضوية تحت الجبهة الوطنية التقدمية.⁷ ونال المستقلون المقاعد الـ٦٧ الباقية من مقاعد المجلس الـ٢٥٠، بتوزيع عددي مطابق تقريباً لتوزيع دورة ٢٠١٦. ومن بين ٢٥ مرشحاً (على الأقل) من أعضاء الأحزاب السياسية المرخصة بموجب قانون الأحزاب الجديد لعام ٢٠١١، لم يفز بالانتخابات إلا اثنان من حزب الشعب، ترشحاً كمستقلين.⁸ وجاء استبعاد مرشحي الأحزاب المرخصة بعد العام ٢٠١١ ليؤكد ضالة شأنها لدى النظام، الذي استخدمها بضع مرات كتطبيق عملي لقانون الأحزاب وك «معارضة داخلية» في كل مؤتمر نظمه أو شارك فيه استجابة لضغوطات الدول المؤثرة في الشأن السوري.

الخريطة ١: توزّع أعضاء مجلس الشعب على الدوائر الانتخابية حسب الانتماء السياسي (٢٠٢٠)



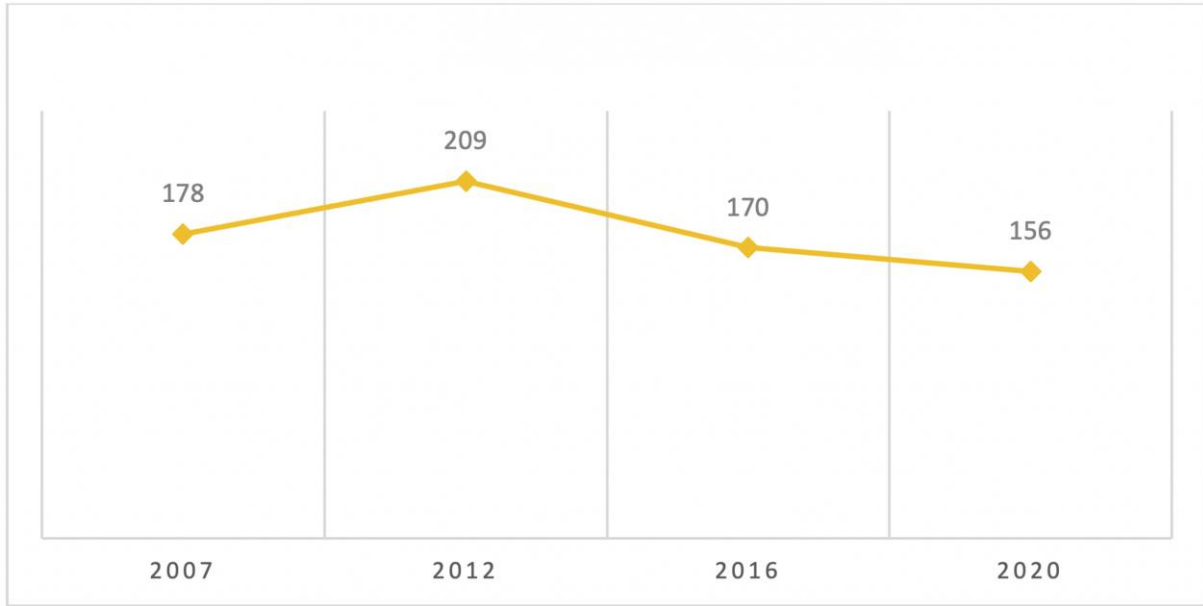
المصدر: المؤلف (بناءً على مصادر رسمية وحزبية)

⁶ جرت الانتخابات في ظل الإطار القانوني للانتخابات السابقة نفسه (تقسيم الدوائر الانتخابية، وعدد المقاعد في كل دائرة، والحصص التي حدتها الأحكام القانونية "للعمال والفلاحين" بنسبة ٥٠٪ على الأقل من عدد المقاعد). انظر عواد وفاقيه، "الانتخابات في زمن الحرب: مجلس الشعب السوري ٢٠١٦-٢٠٢٠"، مرجع سابق.

⁷ الجبهة الوطنية التقدمية هي تحالف أسسه ويقوده البعث منذ عام ١٩٧٢، وهو يضم ١٠ أحزاب، جاء تمثيلها في مجلس الشعب في انتخابات ٢٠٢٠ وفق ما يلي: ثلاثة مقاعد لكل من حزب الاتحاد الاشتراكي العربي والحزب السوري القومي الاجتماعي، ومقعدان لكل من الحزب الشيوعي السوري-جناح خالد بكداش والحزب الشيوعي السوري-جناح يوسف فيصل وحزب العهد الوطني والوحدويين الاشتراكيين، ومقعد واحد لكل من حزب الاتحاد العربي الديمقراطي والحزب الوحدوي الاشتراكي الديمقراطي.

⁸ إضافة إلى عضو مجلس الشعب فؤاد ولداني، الذي انتسب خلال حملته الانتخابية إلى حزب التطوير والتحديث، وهو حزب ترخص في آذار ٢٠٢٠ وعقد مؤتمره التأسيسي في تموز من العام نفسه.

الرسم ٢: أعداد الأعضاء الجدد في مجلس الشعب من دورة انتخابية إلى أخرى (بين ٢٠٠٧ و ٢٠٢٠)



المصدر: المؤلف (بناءً على مصادر رسمية)

الانتخابات التمهيدية داخل حزب البعث: محاولة فاشلة لإحياء الحزب؟

في تجربة هي الأولى من نوعها في تاريخ حزب البعث لاختيار مرشحيه لانتخابات مجلس الشعب، نظمت قيادته المركزية، بين يومي ١٥ و ٢٨ في شهر حزيران ٢٠٢٠، انتخابات داخلية تمهيدية غير ملزمة لقيادة الحزب، سمّتها "الاستئناس"^٩. وجاءت هذه التجربة في سياق محاولات قيادة حزب البعث المتكررة منذ عام ٢٠١٣ للنهوض بالحزب وتوسيع دائرة تأثيره في المجتمع.^{١٠} وحسب كلمة وجهها الرئيس بشار الأسد لأعضاء حزبه، اعتبر عملية الاستئناس "أهم إجراء يحفظ المؤسسة الحزبية ويطورها ويقويها، وهو توسيع مشاركة القواعد الحزبية في اختيار ممثليهم لمجلس الشعب"، ودليلاً "على الحيوية العالية وروح التجدد التي تميز ويتميز بها الحزب ... والخطوة الضرورية لتجديده تنظيمياً وعقائدياً".^{١١}

شارك في "الاستئناس" ٢٠,٢٧١ عضواً في الحزب، وترشح منهم ٢,٥١٣ تنافسوا على ٣٣٤ بطاقة ترشح أولية، ما يعني ضعف العدد المطلوب لمرشحيه النهائيين على قوائم الوحدة الوطنية. واختارت القيادة المركزية نصفهم ليمثلوا الحزب في الانتخابات البرلمانية، لكنها استبعدت ١٢ فائزاً بالاستئناس، وعيّنت بدلاً عنهم ٧ ضباط متقاعد من الجيش والشرطة في قوائمها النهائية (إلى جانب ٩ ضباط آخرين فازوا بالاستئناس)، فيما ضمّنت التعيينات الأخرى وصول الرئيس السابق ثم الحالي للمجلس حمودة الصباغ، من دائرة الحسكة، وملء مقعد فارغ بوفاة مرشح بدائرة حلب، وتمثيل المرأة بمقعد ثانٍ بدائرة مناطق حلب،

^٩ الاستئناس هي انتخابات داخلية أولية لاختيار مرشحي حزب البعث في انتخابات مجلس الشعب.

^{١٠} منذ اندلاع الثورة عام ٢٠١١، أعيد تشكيل الأطر القيادية لحزب البعث على مستويين: على مستوى القيادة المركزية التي تغيرت مرتين في تموز ٢٠١٣ ونيسان ٢٠١٧ وعلى المستوى المحلي بشكل غير منظم من خلال قرارات منفردة خاصة بكل فرع منذ ٢٠١١، قبل أن تنظم انتخابات شاملة لكل فروع الحزب لتحديد قيادات الفرق ثم الشعب ثم الفروع بين شهري تشرين الأول ٢٠١٩ وشباط ٢٠٢٠، وقد كانت هذه الانتخابات الأولى من نوعها منذ ٢٠١١.

^{١١} جريدة البعث، "الرفيق الأسد لكوادر البعث: الحزب أثبت ديناميكيته وقدرته على الانطلاق نحو المستقبل"، ١٦ حزيران ٢٠٢٠.

وتمثيل الطائفتين المرشدية في حماة والدرزية في القنيطرة. وعلى الرغم من أن القيادة المركزية لم تراخ في اختياراتها ترتيب الناجحين في الاستئناس، إلا أنها التزمت إلى حد كبير بنتائجها.

رغم ذلك، كان الاستئناس محل تشكيك ونقد واسع من البعثيين أنفسهم، بسبب ما اعتبروه فساداً داخلياً أكده شراء الأصوات والتزوير والمحسوبيات والتواطؤ بين بعض أعضاء القيادة المركزية للحزب أو بعض أعضاء قياداته الفرعية في المحافظات وبعض المرشحين. ففي دائرة مناطق حلب، تقدم ١٠٥ من مرشحي الاستئناس، من أصل ٤٨٣ مرشحاً، باعتراض جماعي على النتائج التي اعتبروها باطلة ومزورة.¹² وفي طرطوس، أعادت القيادة المركزية فرز الأصوات بسبب اعتراضات مماثلة، وهي الإعادة التي اعتبرت جريدة البعث الرسمية أنها "إجراء شكلي لم يلامس الجوهر".¹³

فضلاً عن الانتقادات التي لاقتها عملية "الاستئناس" داخل الحزب وفي الوسط الموالي على نحو عام، لم تنجح القيادة المركزية بتوسيع المشاركة داخل صفوف الحزب وإدماج عدد أكبر من أعضائه في هذه العملية، حيث شارك في الاستئناس ٢.٥٪ فقط من أعضاء الحزب، أي أقل من ٢٠ ألف عضو من أصل ٩٠٠ ألف عضو بعثي جددوا انتماءهم للحزب حتى عام ٢٠١٧.¹⁴ كما عجز الحزب عن التحشيد ودفع الناس إلى المشاركة في التصويت يوم الانتخابات، حيث جاءت الانتخابات الأخيرة بنسبة مشاركة هي الأدنى بين كل نسب المشاركات في الانتخابات السابقة (نحو ٣٣٪ وفق الأرقام الرسمية، ونحو ١٠٪ بحسب بعض المراقبين)، ولولا أصوات الجنود وعناصر الشرطة والموظفين الحكوميين لكانت أقل من ذلك بكثير.¹⁵

وعلى الرغم من هذا التحشيد الضعيف، جددت قيادة الحزب كتلته النيابية بنسبة ٦٤٪ مقارنة بالانتخابات السابقة. فمن أصل ١٦٧ عضو من حزب البعث في مجلس ٢٠٢٠، أعادت القيادة المركزية للحزب اختيار ٥٩ كانوا أعضاء في دورة ٢٠١٦، وجددت كتلته بـ ١٠٨ أعضاء، ٩٢ منهم يدخلون المجلس لأول مرة و٤ عُيّنوا لملء مقاعد شاغرة بين العاميين ٢٠١٧ و٢٠١٩، و١١ عضواً انخبوا في دورة ٢٠١٢، وعضو واحد انخب في دورة ٢٠٠٣.

بمقارنة نسب التجديد من دائرة انتخابية إلى أخرى (الخريطة ٢)،¹⁶ يبدو أن هذه النسب تأثرت بخريطة السيطرة العسكرية السابقة والحالية في كل دائرة. ففي الدوائر التي استعادها النظام كاملة من سيطرة المعارضة خلال السنوات الأربع الماضية (ريف دمشق، حمص، مدينة حلب، درعا)، جاءت نسب التجديد مرتفعة، حيث تغيرت معايير الانتقاء في هذه الدوائر لصالح وجوه حزبية صاعدة. بالمقابل، كان معدل التجديد لنواب البعث هو الأدنى في اللاذقية ومدينة دمشق، الدائرتين اللتين لم تخرجا عن سيطرة النظام، ولكن شكّلت طرطوس استثناء عن حالة الدوائر الهادئة، بسبب تعيين ناشطين في قضايا الجرحى وعائلات القتلى من جنود النظام في قائمة البعث. أما في الدوائر التي تقع مساحات شاسعة منها خارج سيطرة النظام،

¹² هاشتاغ سوري، "تجربة ديمقراطية أفرغتها قيادات حزبية: استئناس ريف حلب نصف أصواته باطلة وتلث مرشحيه معترضين"، ٢٤ حزيران ٢٠٢٠، <https://bit.ly/2RBpLrx>.

¹³ جريدة البعث، "إعادة الفرز: إجراء شكلي لم يلامس الجوهر"، ٣٠ حزيران ٢٠٢٠، <https://bit.ly/3jmm0SZ>.

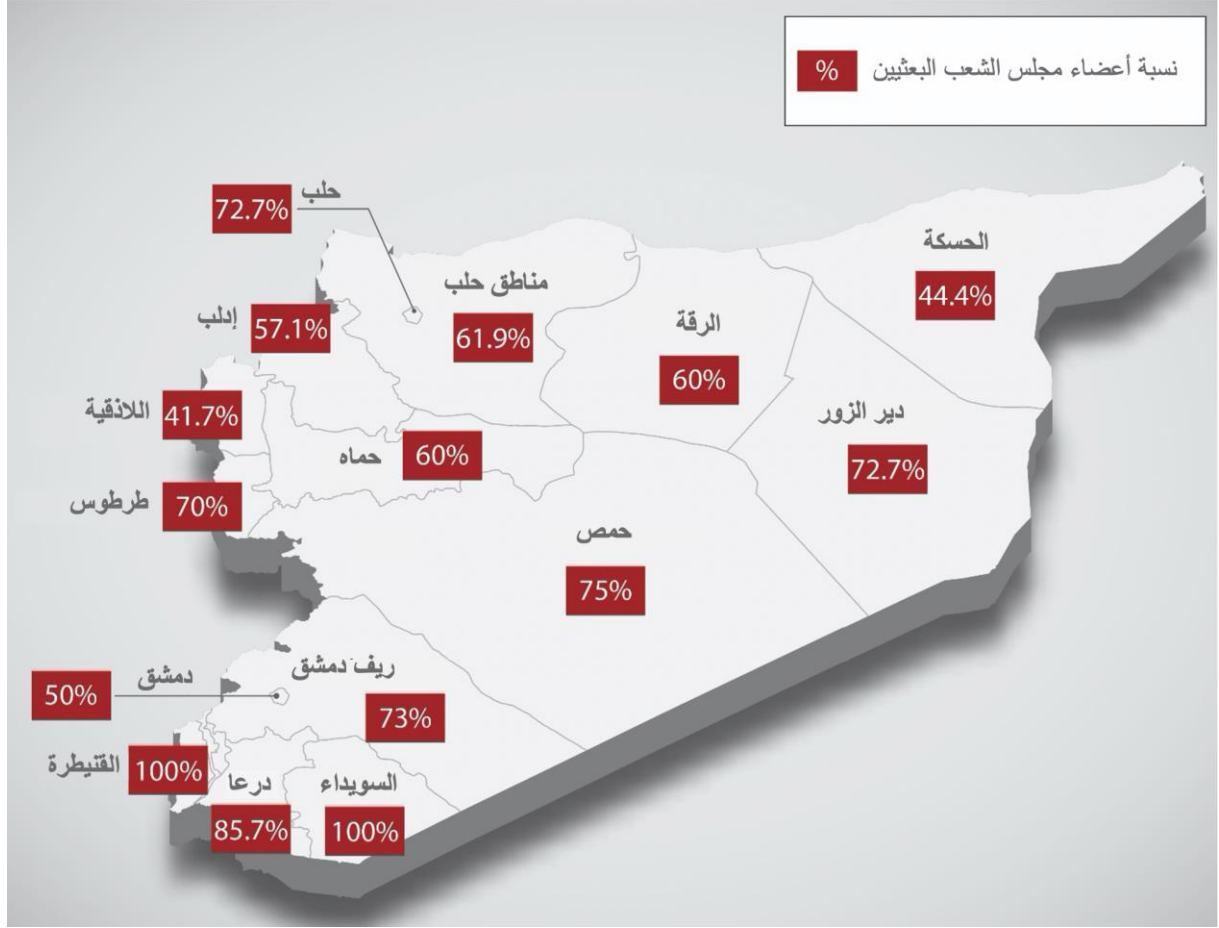
¹⁴ البعث ميديا، "الرفيق يوسف أحمد عضو القيادة القطرية رئيس مكتب التنظيم: اقتربنا من إحداث التغيير الحقيقي"، ٤ نيسان ٢٠١٧، <https://bit.ly/32Uf60k>.

¹⁵ الشرق الأوسط، "انتخابات مجلس الشعب السوري: إقبال متواضع وانعدام ثقة"، ٢٠ تموز ٢٠٢٠، <https://bit.ly/3hxTzjo>. بلغت نسبة التصويت في انتخابات ٢٠١٦ وفق الأرقام الرسمية ٥٧.٥٦٪، وفي انتخابات ٢٠١٢ بلغت ٥١.٢٦٪ أما في انتخابات ٢٠٠٧ فبلغت ٥٦.١٢٪. عواد وفاقيه، "الانتخابات في زمن الحرب: مجلس الشعب السوري ٢٠١٦-٢٠٢٠"، مرجع سابق.

¹⁶ هذا وفق معيار اللجنة العليا للانتخابات، التي قامت فقط بمقاطعة قائمتي الناجحين بانتخابات ٢٠١٦ و٢٠٢٠ لفرز النواب الجدد، وأهملت من دخلوا المجلس لملء المقاعد الشاغرة خلال هذه المدة، ومن كانوا أعضاء في دورات أسبق.

فتأرجحت نسبة التجديد بين ٥٧٪ في إدلب و ٦٢٪ في مناطق حلب، ما قد يشير إلى تردد نسبي لدى قيادة الحزب بدفع المزيد من الفاعلين الجدد إلى المجلس.

الخريطة ٢: نسب التجديد في كتلة الأعضاء البعثيين حسب الدائرة الانتخابية (٢٠٢٠)



المصدر: المؤلف (بناءً على مصادر رسمية وحزبية)

تحولات نسبية في كتلة البعث

تألفت كتلة حزب البعث في مجلس ٢٠٢٠ من نفس المكونات التي تألفت منها في مجلس ٢٠١٦ تقريباً، ولكن مع زيادة عدد النواب الذين بنوا رأسمآلهم السياسي خارج الحزب، لا سيما من رجال الأعمال والنواب القادمين من ميدان العمل الخيري والتنمية، ومع تحول بعض قادة الميليشيات إلى قياديين في صفوف الحزب، ومع تمثيل أكبر للضباط المتقاعدين وانخفاض طفيف في عدد النساء اللاتي يحافظ حزب البعث على احتكار تمثيلهن، ما خلا بعض الاستثناءات.

داخل البعث... مسارات صعود فاعلين من خارجه

على نحو عام، يمكن تحديد مكونين رئيسيين متداخلين فيما بينهما، توزع عليهما أغلبية نواب البعث في مجلس ٢٠٢٠ وهما: أولاً أعضاء مجلس الشعب القادمون من الأطر القيادية لكل من حزب البعث (٢٥

عضواً تقريباً) والمنظمات الشعبية (٢١ عضواً)¹⁷ والنقابات المهنية (١٠ أعضاء)¹⁸ وثانياً أعضاء مجلس الشعب القادمون من بعض الأوساط المهنية الهامة والذين يمثلون أوساطهم تلك أكثر مما يمثلون الجهاز الحزبي أو النقابات التي ينتمون إليها في معظم الحالات. يتمثل هذا المكون على وجه خاص في الوسط الأكاديمي من أساتذة ومدرسي الجامعات (١٢ عضواً)، وفي العاملين في المهن القانونية من محامين وقضاة (٢٣ عضواً) والعاملين في المهن الطبية، أي الطب البشري وطب الأسنان (١٤ عضواً). ومن جهة أخرى يندمج تمثيل المعلمين والموظفين في المؤسسات والشركات الحكومية غالباً بتمثيل الجهاز الحزبي والمنظمات وبعض النقابات.

في انتخابات ٢٠٢٠، حدثت زيادة طفيفة في عدد العاملين في المهن القانونية، ولا سيما القضاة (٦ أعضاء)، الأمر الذي قد يشير إلى اتجاه بدأ يتشكل في الوسط القضائي – الذي يهيمن عليه حزب البعث – نحو الانخراط في اللعبة الحزبية طمعاً بالمكاسب المعنوية والمادية، وبما يخالف السلوك المتحفظ المعتاد لدى القضاة من جهة، ويخالف الانفصال النظري بين السلطتين التشريعية والقضائية من جهة أخرى.¹⁹

وبين الأطباء ضمن كتلة البعث في مجلس ٢٠٢٠، برزت ظاهرة جديدة مزدوجة لم تكن واضحة في مجلس ٢٠١٦. فمن جهة أولى زاد عدد الأطباء على مقاعد البعث بدائرتي حمص (ثلاثة أطباء) وطرطوس (طبيبين)؛ ومن جهة ثانية كان جميع أطباء حمص وطرطوس – باستثناء وحيد – ناشطين معروفين في مجال رعاية الجرحى وعائلات القتلى، وهو ما يشير إلى اتجاهين: أولاً اكتساب الأطباء الناشطين في هذا الشأن عموماً المزيد من المكانة نتيجة ارتفاع عدد جرحى الحرب في هاتين الدائرتين، في حين لم يتحقق الأثر ذاته في اللاذقية التي تشهد هي الأخرى الظاهرة ذاتها؛ وثانياً تمتعهم بالنفوذ من خلال عملهم في منظمات وحملات يدعمها القصر الجمهوري. ونظراً لافتقار معظم هؤلاء الأطباء لتاريخ نشط في صفوف حزب البعث، ولانتمائهم في الوقت نفسه إلى الوسط الخيري المرتبط بأسماء الأسد (انظر أدناه)، يبدو أنهم يمثلون ذلك الوسط – أو مركز القوة الذي يراعه – أكثر مما يمثلون الحزب، كما في حالة أعضاء مجلس الشعب الآخرين ممن فرضتهم مراكز قوى أخرى ليدخلوا المجلس على مقاعد حزب البعث.

أخيراً، تضاعف عدد رجال الأعمال على مقاعد حزب البعث إلى ١٤ عضواً (ستة منهم من الدورة السابقة وثمانية يدخلون المجلس لأول مرة)، ما يعكس توجهاً عاماً لتمثيل أكبر لهم (انظر أدناه)، لكن رسوخ وزيادة تمثيل رجال الأعمال ضمن كتلة حزب البعث يقدم دليلاً آخر على قوة المؤثرات الخارجية والظرافية على الحزب، فمعظم هؤلاء الأعضاء يفتقر إلى انتماء عملي واضح إلى البعث وإلى أي نشاط عام في بعض الحالات، وهم يمثلون المصالح التي ينتمون إليها أكثر مما يمثلون الحزب.

استقطاب البعث مزيداً من المقاتلين العسكريين والأمنيين

كما في مجلس ٢٠١٦، جاء بعض النواب ضمن كتلة حزب البعث إلى مجلس ٢٠٢٠ من خلفيات أمنية (مخبرين) وعسكرية (ضباط متقاعدين من الجيش والشرطة) وشبه عسكرية (قادة ميليشيات)، ولكن مع زيادة ملحوظة في عدد الضباط المتقاعدين إلى ١٦ عضواً، الأمر الذي يرسخ الطيف العسكري داخل

¹⁷ اتحادات الطلبة والشبيبة ومنظمة طلائع البعث (١١ عضواً) اتحاد العمال (٥ أعضاء) اتحاد الفلاحين (٣ أعضاء)، الاتحاد الرياضي (عضوان اثنان).

¹⁸ ثلاثة أعضاء من نقابة المحامين، وعضوان اثنان لكل من نقابة المهندسين ونقابة الأطباء البيطريين، وعضو واحد لكل من نقابة المعلمين ونقابة أطباء الأسنان ونقابة المهن المالية والمحاسبية.

¹⁹ يوقف القضاة الفائزون في انتخابات مجلس الشعب أعمالهم في المحاكم على نحو مؤقت طالما بقوا أعضاء في المجلس.

المجلس،²⁰ خاصة بعد أن أعاد معظم قادة الميليشيات والمخبرين إنتاج أنفسهم كناشطين قياديين في صفوف الحزب. وقد جسد استقطاب هذه الشرائح الثلاث، المنخرطة عملياً في مجريات النزاع المسلح، محاولة من قيادة الحزب للعب دور أوسع في النزاع.

ضمت كتلة البعث في مجلس ٢٠٢٠ ثمانية من قادة الميليشيات (ثلاثة منهم أعضاء من الدورة السابقة) (الجدول ١ في الملحق). احتل معظمهم خلال السنوات الأربع الماضية مناصب قيادية مركزية أو محلية في صفوف الحزب، إذ أصبح كل من باسم سودان (اللاذقية) وهو قائد كتائب البعث في سوريا، وفاضل وردة (حماة) وهو قائد قوات الدفاع الوطني في منطقة السلمية، عضوين في اللجنة المركزية لحزب البعث في العام ٢٠١٧، وأصبح كل من عصام نبهان سباهي (حماة)، وهو قائد كتائب البعث في حماة، وعبد العزيز الحسين (دير الزور) وهو قائد ميليشيا عشائرية شبه منحلّة اسمها "مجموعات الحسين"، أعضاء في قيادة الشُّعب الحزبية لمناطقهم.

إضافة إلى ذلك، تميز بعض أعضاء دورة ٢٠٢٠ بأنشطتهم الأمنية لصالح أجهزة المخابرات خلال السنوات الأولى من الصراع، قبل انخراطهم في أنشطة رسمية في صفوف الحزب أو التنظيمات التابعة له. كما في المثال الذي يجسده عضو مجلس الشعب وائل علي الدالي (إدلب)، الذي أُنهم بين العامين ٢٠١١ و٢٠١٣ بتعقب وملاحقة المعارضين وكتابة التقارير ضدّهم، قبل أن يظهر لاحقاً كناشط في صفوف اتحاد الطلبة، يدير جلسات حوار ينظمها اتحاد الطلبة فرع إدلب في محل نزوحه في مدينة حماه، ثم يترشح لانتخابات الحزب خريف ٢٠١٩، وهي المحطة التي أكمل فيها الدالي تحوله إلى ناشط حزبي شبه متفرغ.²¹

وفي تمثيل عددي أكبر وأوضح مما كان في الدورة السابقة، عينت القيادة المركزية لحزب البعث ١٦ ضابطاً متقاعداً من الجيش والشرطة وأجهزة المخابرات ضمن قوائم مجلس ٢٠٢٠، دخل ١٣ منهم مجلس الشعب لأول مرة (الجدول ٢ في الملحق).²² ومثّل هؤلاء الضباط الدوائر التي ينحدرون منها، بعد تأهيل بعضهم عبر شُعب المحاربين القدامى التي شكلتها القيادة المركزية في معظم فروع الحزب بالمحافظات، أو عبر رابطة المحاربين القدامى التي نشطت قبيل وأثناء انتخابات مجلس الشعب. يبدو هذا التمثيل تكريماً معنوياً لمؤسستي الجيش والشرطة، ومكافأة شخصية لبعض من أدى وظائف مهمة خلال الحرب، مثل الرئيس السابق للمحكمة الميدانية الأولى اللواء شيخ جابر الخرفان (دير الزور)، والقائد السابق للفرقة ١١ في الجيش نسيب أجود أبو محمود (السويداء).

قد يعكس وصول ضباط متقاعدين إلى مجلس الشعب سعي النظام إلى تحويلهم إلى وجهاء وقادة اجتماعيين بعد التقاعد، لا سيما في الدوائر ذات الأغلبية السنوية التي مرت بالثورة والحرب، علماً أن هؤلاء الضباط أمضوا ثلثي أعمارهم بعيداً عن مجتمعاتهم ودوائرهم الأصلية بحسب ما تقتضي تنقلات الوظيفة. فمن بين ١٦ عضواً من الضباط المتقاعدين، تجد ٩ سنّة من دوائر دير الزور ومناطق حلب وحماة ودرعا وإدلب وريف دمشق، وهي الدوائر التي شكلت – إلى جانب حمص، التي مثلها ضابط علوي – الحامل الرئيسي للانتفاضة ثم المعارضة المسلحة ضد النظام. في سياق الانهيار الاقتصادي وتردي الخدمات العامة، أصبحت

²⁰ أيمن عبد النور، "انتخابات سوريا النيابية ٢٠٢٠: أسوأ نكتة حتى الآن" (بالإنكليزية)، معهد الشرق الأوسط، ٢٤ تموز ٢٠٢٠، <https://bit.ly/3nwAjXS>.

²¹ وفي حالة شبيهة، انخرط عضو مجلس الشعب علي عودة الجضعان، المعروف في مدينة الحسكة بأنه مخبر والمتهم بإدارة بيوت دعارة وجرائم سطو مسلح وخطف، في نشاط لافقت في العمل الحزبي بدءاً من عام ٢٠١٨، وشارك في انتخابات الفرق والشُّعب الحزبية في العام اللاحق كعضو مؤتمّر، قبل أن يفوز بالاستئناس ويصدر اسمه ضمن قائمة مرشحي الحزب لانتخابات ٢٠٢٠.

²² تم إهمال حالة العضو أيمن أحمد من اللاذقية، لأنه سرّح برتبة صغيرة (ملازم أول) ومنذ أكثر من عقدين.

مؤهلات الوجهة مادية خالصة، تعتمد على النفوذ والثروة، وأصبح التوسط لدى أجهزة المخابرات شكلاً من أشكال النفوذ، حتى لو كان مأجوراً بمقابل مادي، كما فعل قائد شرطة دمشق السابق اللواء مصطفى سكري مصطفى مع أبناء قريته، معر شحور، وأبناء ريف حماه الأوسع الذي كان مسرحاً لحرب طويلة حتى العام ٢٠١٩. في المجتمعات الريفية السنية على وجه خاص، قد يشكل الضباط المتقاعدون ومعهم بعض قادة الميليشيات السابقين بديلاً عن شيوخ العشائر والوجهاء التقليديين.

التمثيل النسائي: احتكار حزب البعث

أجريت انتخابات ٢٠٢٠ بغياب الاتحاد العام النسائي، الذي انحل بموجب قرار أصدره بشار الأسد في نيسان ٢٠١٧.²³ وكلفت القيادة المركزية لحزب البعث فروعه في المحافظات خلال عملية الاستئناس بتخصيص بطاقات ترشح أولية للنساء، قبل أن تحمل قوائم الوحدة الوطنية أسماء ٢٥ امرأة، بينهم ٢٤ من الفروع المختلفة لحزب البعث وامرأة واحدة على مقعد مخصص لحزب الاتحاد الاشتراكي في دائرة مدينة حلب. وأضافت النتائج النهائية ثلاثاً مستقلة، ليبلغ عدد أعضاء مجلس الشعب من النساء ٢٨، وبذلك انخفض تمثيل النساء عن تمثيلهن السابق بـ٣٤ عضوة مجلس شعب بدورة ٢٠١٦.

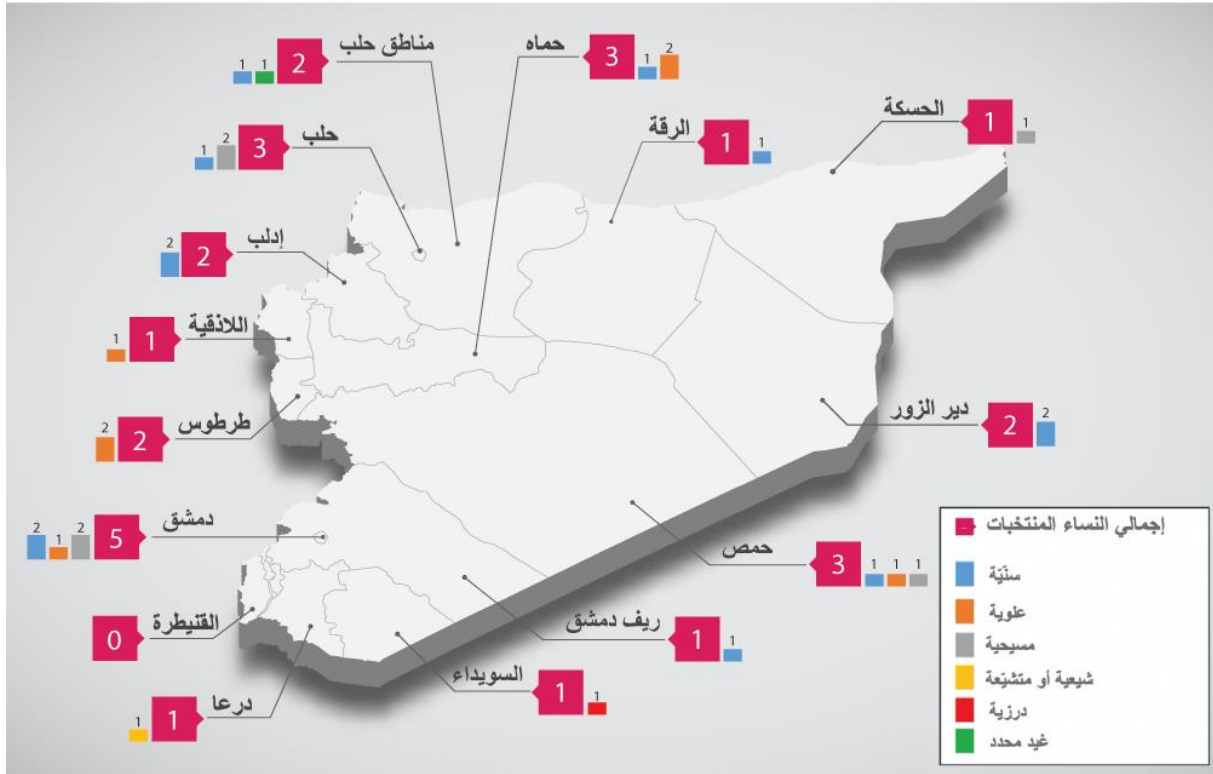
لم يكن بين عضوات مجلس ٢٠٢٠ أي ناشطة نسوية، وامتد تأثير قادة الميليشيات والضباط إلى هذا التمثيل الذي عكس أيضاً بعض مظاهر الخلل النسبي في المحاصصة على أساس طائفي ومناطقي (كما سيتضح في الجزء الثاني). ففي دائرة مدينة دمشق، تقاسمت المقاعد الخمسة التي احتلتها النساء ضابطة مسيحية متقاعدة (ماري البيطار) أصلها من ريف حمص، وأرملة ضابط علوية أصلها من ريف جبلة (بشري زريقة)، وضابطة متقاعدة سنية أصلها من ريف دمشق (باسمة الشاطر)، وناشطة ثقافية أرمنية مستقلة (نورا أريسيان)، وقاضية سنية دمشقية مستقلة لكن زوجها علوي من ريف جبلة ويعمل في القصر الجمهوري (نهى محايري). يكشف هذا الفرز الصبغة الأقلوية الريفية العسكرية في تمثيل نساء مدينة دمشق. تبدو حوامل تمثيل النساء عموماً في الدوائر الأخرى قريبة لنظيرتها في دمشق، فعلى الرغم من أن هيفاء جمعة (ريف دمشق) مدرّسة في كلية الهندسة، إلا أنها زوجة ضابط وابنة ضابط. وتدين طبيبة الأسنان وعضوة مجلس الشعب منذ ٢٠٠٧ فادية ديب (حمص) لزوجها السابق ضابط المخابرات، في وصولها لمجلس الشعب أول مرة، قبل أن تصبح نقيباً لأطباء الأسنان في سورية منذ ٢٠١١. وضمن أحد قادة الميليشيات مقعداً لزوجته عروبة محفوض (حماة) وضمن قائد ميليشيا آخر مقعداً لابنته مريم المتراس (دير الزور).

لم تقدم انتخابات مجلس الشعب، التي أجريت بعد سبع سنوات من إطلاق مشروع إحياء الحزب، أي دليل على أن قيادة الحزب حققت نجاحاً واحداً في هذا المشروع، حيث كانت تجربة الانتخابات التمهيدية لاختيار مرشحيه (الاستئناس) محاولة فاشلة، وفق ما كشفته اتهامات الفساد والاعتراضات الواسعة عليها داخل الحزب من جهة، وضالة المشاركة فيها أمام ضخامة عدد المنتسبين إلى الحزب من جهة أخرى. كما فشل الحزب بدفع الناس إلى التصويت. بالإضافة إلى ذلك، أفرزت محاولات تجديد كتلة البعث في مجلس ٢٠٢٠ مزيداً من التناقضات، كان منها اتساع الطيف العسكري وشبه العسكري، بما في ذلك النساء، وتصادت تأثير رأس المال وتأثير مراكز القوى من خارج الحزب، ما خلق كتلاً غير متجانسة ضمن كتلة البعث النيابية

²³ سانا، "الرئيس الأسد يصدر مرسوماً تشريعياً بإلغاء القانون.. المتضمن إحداث الاتحاد العام النسائي"، نيسان ٢٠١٧ <https://sananews.sy/?p=15405>

التي تعبر إلى حد كبير عن واقع الحزب كله اليوم، ليبدو أضعف مما كان قبل اندلاع الثورة، رغم هيمنته ورغم حاجة النظام الماسة إليه لحشد التأييد في ظل التحديات الاقتصادية المتصاعدة .

الخريطة ٣ – توزيع النساء على أساس جغرافي وطائفي (٢٠٢٠)



المصدر: المؤلف (بناءً على مصادر رسمية وعلى المسح الميداني)²⁴

²⁴ اعتمد الباحثان على المسح الميداني لتحديد الانتماء الطائفي لأعضاء مجلس الشعب. انظر أدناه.

الجزء الثاني: تغيرات في التمثيل الطائفي والعائلي

تركت الديناميات السائدة بعد اندلاع الصراع آثارها على حجم ونوع التمثيل على أساس طائفي في مجلس الشعب،²⁵ بدءاً من انتخابات عام ٢٠١٢ ثم ٢٠١٦، حيث تزايد عدد المقاعد التي احتلها الأعضاء المنتمون إلى الأقليات الطائفية. وبينما حافظت فيه انتخابات ما بعد الثورة على تمثيل النخب الاجتماعية التقليدية من الأقليات، إلا أنها أضعفت تمثيل النخب التقليدية السنية، وهو ما يظهر من اضطراب تمثيل التيار الديني السني منذ ٢٠١٢، ثم انقطاعه نهائياً في ٢٠٢٠، وكذلك التناقص التدريجي بدءاً من ٢٠١٢ في عدد شيوخ العشائر في المجلس.

المزيد من المقاعد للأقليات

مثلما اختلفت موازين عدة في الانتخابات التي نُظمت بعد الثورة، اختلف ميزان التمثيل الطائفي في مجلس الشعب، الذي كان قد بقي ثابتاً تقريباً منذ دورة العام ١٩٩٠ حتى دورة ٢٠٠٧. فقد انخفض عدد النواب السنّة من ١٩٠ عضو في دورة ٢٠٠٧ (بنسبة ٧٦٪) إلى ١٦٣ عضو في دورة ٢٠٢٠ (بنسبة ٦٥٪). هذا الخلل الواضح وغير المؤثر على التركيبة الطائفية للمجلس منح المزيد من المقاعد في كل دورة انتخابية للعلويين والمسيحيين والشيعة، في حين حافظ الدروز والاسماعيليون والمرشديون على عدد مقاعدهم المعتاد قبل الثورة (الرسم ٣).²⁶ وبقي الأكراد، الأقلية الكبيرة شمال شرق البلاد، خارج المحاصصات بسبب تهميش النظام لهم قبل الثورة، ثم سعيهم لتحقيق طموحات سياسية تتجاوز التمثيل في مجلس الشعب؛ وهو السعي الذي عززه كل من تآكل سيطرة النظام وتحالف القوى الكردية مع الدول الغربية في حربها ضد تنظيم داعش.

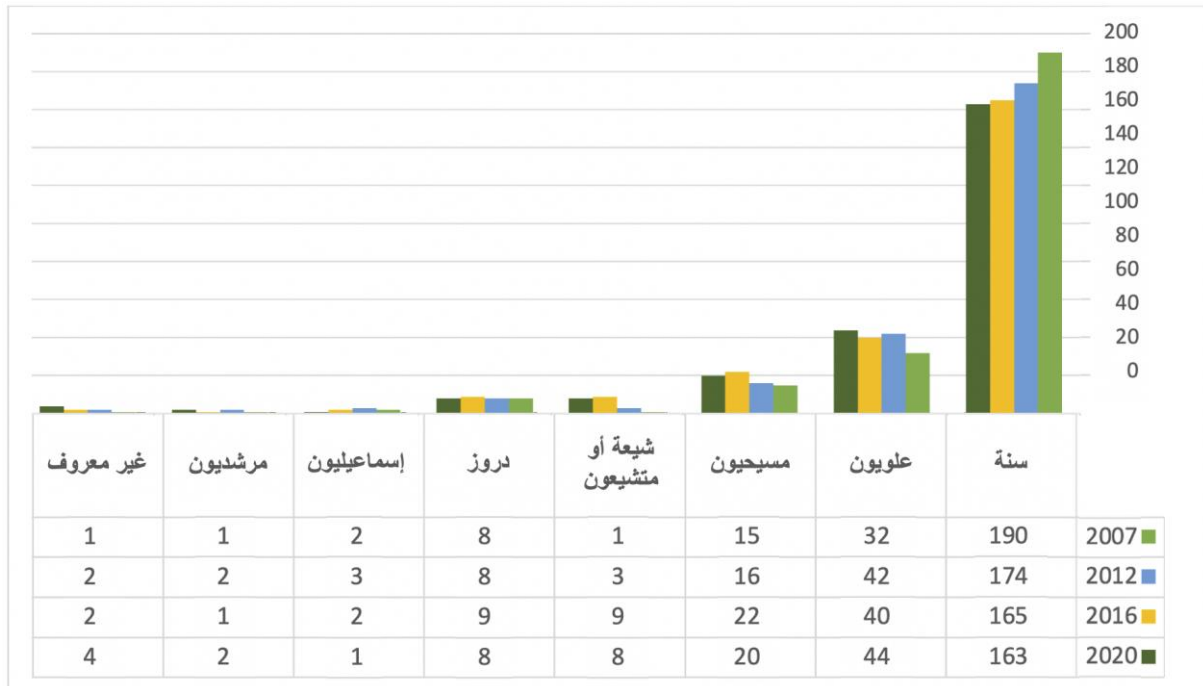
قد تبرر الوقائع خلل المحاصصة في دورة ٢٠١٦، التي أُجريت في وقت كان النظام قد فقد السيطرة على الجزء الأكبر من الأرض وعلى نصف السكان تقريباً – السنّة بمعظمهم – نتيجة للجوء والنزوح خارج مناطق النظام. لكن الخلل الأكبر كان قد حدث في دورة ٢٠١٢، والتي جرت في شهر أيار حين لم يكن النظام فقد إلا قليلاً من الأرض والسكان. ففي دائرة حمص التي سُمّي أعضاؤها المستقلون في دورتي ٢٠١٢ و٢٠١٦ سلفاً على قائمة الوحدة الوطنية التي شكلتها قيادة حزب البعث، "خسر" السنّة ٤ مقاعد في دورة ٢٠١٢ من أصل ١٥ مقعداً في دورة ٢٠٠٧، وذلك نتيجة عجز النخب السنّة المالية عن مواجهة التيار المنتفض ضد النظام في المجتمع السني. وبالمقابل، نجحت نخب الأقليات ومعها الفاعلون الصاعدون من أبنائها في لجم الأصوات المعارضة فيها، ما وسّع من نفوذها وأهميتها لدى النظام، لينال الأعضاء المنحدرون من الأقليات المقاعد التي خسرها الأعضاء السنّة. وقد "خسر" السنّة مجدداً في دورة ٢٠١٦ مقعدين إضافيين للأسباب ذاتها، بالإضافة ربما إلى الخلل الديمغرافي الذي سببته ظاهرة النزوح واللجوء خارج مناطق النظام. وبالمناطق ذاته، تناقص عدد الأعضاء السنّة في دائرة حماة من ١٣ في دورة ٢٠٠٧

²⁵ كما أشرنا في دراسة سابقة، لا توجد حصص رسمية لكل طائفة في مجلس الشعب، ولا بيانات رسمية عن الانتماء الديني للنواب. لكن النظام كان يأخذ العامل الطائفي كمعيار في توزيع مقاعد المجلس على المرشحين. انظر عواد وفافيه، "الانتخابات في زمن الحرب: مجلس الشعب السوري ٢٠١٦-٢٠٢٠"، مرجع سابق.

²⁶ في غياب البيانات الرسمية التي تغفل الانتماء الطائفي للنواب، اعتمد الباحثان في إعداد الرسم ٣ والخرائط ٤ و٥ على المسح الميداني، ما جعل هذه البيانات معرّضة لهامش خطأ. وتستند الأرقام على كل من اللقاءات التي أجراها الباحثان مع أشخاص من البيئات التي ينتمي إليها الأعضاء، وإعلانات الوفاة لأقارب الأعضاء التي تُظهر الانتماء الطائفي، ومحتوى صفحاتهم الشخصية في فيسبوك الذي يُظهر هذا الجانب أيضاً، ولا سيما في المنشورات الخاصة بالمناسبات والأعياد الدينية.

إلى ٨ في دورة ٢٠١٢،²⁷ إلا أنه في دورة ٢٠٢٠ التي جرت بعد استعادة النظام السيطرة على المدن والبلدات ذات الأغلبية السنية في ريف حماه، عاد عدد أعضاء مجلس الشعب السنّة إلى ما كان عليه قبل الثورة، أي ١٣ عضواً. بين دائرتي حمص وحماة – المنشابتهتين تقريباً من ناحية تعددهما الديني والطائفي والموقف المعارض للنظام في بداية الصراع، والمختلفتين بفاعلية النخب السنية الموالية فيهما – تثبتت المقارنة أن التغييرات في نسب التمثيل على أساس طائفي لم تكن انعكاساً لتوجه منظم يفضل الأقليات الدينية على السنّة، إنما حصيلة تأثير عوامل ظرفية أفرزها الصراع، مكاناً حسب الدائرة، وزماناً حسب الدورة الانتخابية، وقد دفعت هذه العوامل بمجملها النظام إلى التخلي عن نسب المحاصصات المحددة مسبقاً على أساس ديني وطائفي.

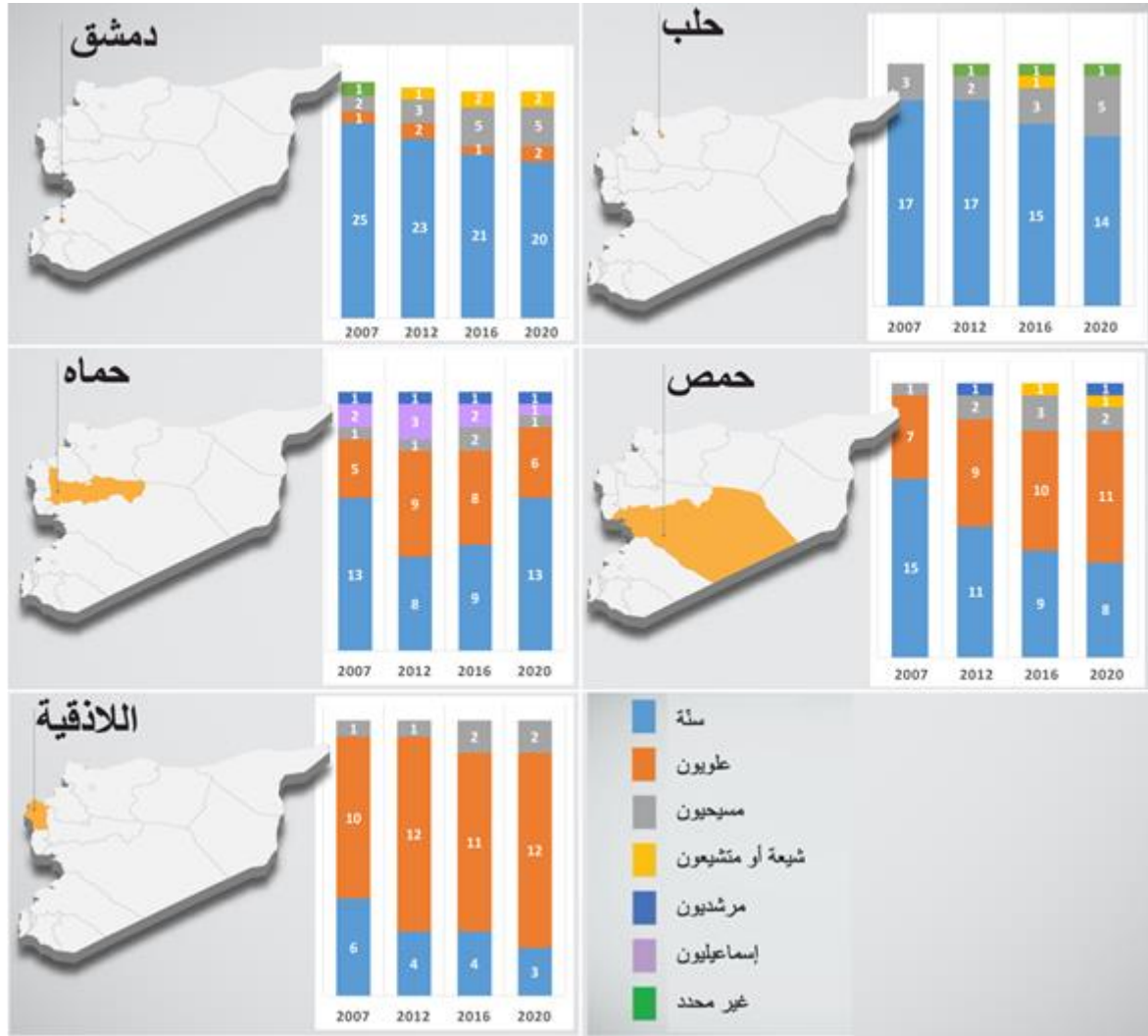
الرسم ٣: توزّع النواب بحسب الانتماء الطائفي (٢٠٠٧-٢٠٢٠)



المصدر: المؤلف (بناءً على مسح ميداني)

²⁷ من المقاعد الخمسة التي "خسرها" السنة، حصل العلويون على ٤ منها والخامس حصل عليه الإسماعيليون، والذين تمثلوا حينذاك صدفةً بثلاثة مقاعد، أحدها ناله بشكل استثنائي علي حيدر، الذي أصبح بعيد ذلك وزيراً للمصالحة الوطنية. كان علي حيدر زعيم الجناح الأبعد عن النظام آنذاك بين أجنحة الحزب السوري القومي الاجتماعي، وبحسب شهادات مقربين منه فقد عُيّن في المجلس تقديراً لصمته بعد أيام من مقتل ابنه (المعارض) إسماعيل علي حيدر على يد مسلحين مجهولين قرب قرية القبو العلوية بريف حماه.

الخريطة ٤: توزع أعضاء مجلس الشعب بحسب الانتماء الطائفي في بعض الدوائر (بين ٢٠٠٧ و ٢٠٢٠)

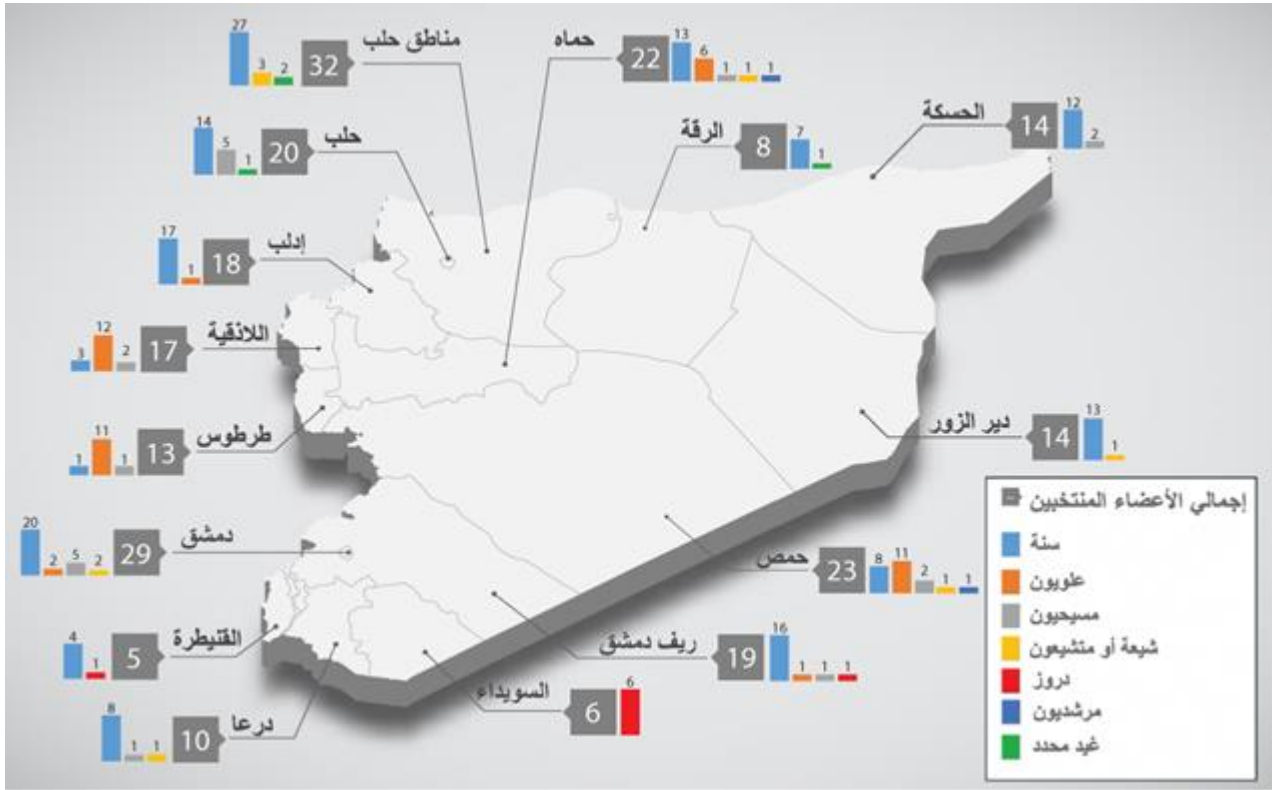


المصدر: المؤلف (بناءً على مسح ميداني)

جاء التوزع الطائفي في دورة ٢٠٢٠ مقارناً لتوزع دورة ٢٠١٦ إلى حد كبير. وتركزت الزيادات التراكمية لأعضاء المجلس من الأقليات في دمشق وحلب بحالة المسيحيين، وحمص واللاذقية ودمشق وطرطوس بحالة العلويين،²⁸ وأما الشيعة والمتشيعون فتركزت زيادتهم في دوائر مناطق حلب ودمشق ثم درعا ودير الزور. قد تخدم زيادة حجم التمثيل المسيحي في المدينتين السوريتين الأهم، دمشق وحلب، دعاية النظام عن حماية المسيحيين التي يتردد صداها في بعض الدوائر السياسية والفكرية الغربية، في حين زاد عدد أعضاء مجلس الشعب العلويين في حمص التي شكلت الساحة الأعنف للنزاع الأهلي، وذلك نتيجة لمجريات المعركة الطائفية هناك وتعقيدها ثم حصيلتها الأخيرة المتمثلة بإضعاف النخب السنوية التقليدية الموالية أو استبعادها. ولا يمكن النظر إلى تزايد الأعضاء الشيعة والمتشيعين بمعزل عن التدخل الإيراني المتزايد، ولا سيما في محافظات حلب والرقدة ودير الزور.

²⁸ إضافة إلى مقعدين منفردين في دائرتي ريف دمشق وإدلب.

الخريطة ٥: توزع أعضاء مجلس الشعب بحسب الانتماء الطائفي والدائرة الانتخابية (٢٠٢٠)



المصدر: المؤلف (بناءً على مسح ميداني)

من جهة أخرى، حافظ النظام على تمثيل بعض العائلات الكبيرة والبارزة في مجتمعات الأقليات، على نحو شبه ثابت أو بالتناوب فيما بينها في بعض الدوائر من دورة انتخابية إلى أخرى. في بعض الحالات لم يكن هذا التمثيل صريحاً أو مباشراً على أساس المكانة الاجتماعية، إنما مدمجاً بمقاعد حزب البعث أو بأنماط تمثيل أخرى، سواءً عن الجهاز الحزبي والمنظمات الشعبية والنقابات أو عن الأوساط المهنية التي ينتمون إليها. ففي محافظة اللاذقية، فاز فواز بهجت نصّور (مستقل) مجدداً في انتخابات ٢٠٢٠ محتفظاً بمقعده في المجلس منذ دورة ٢٠٠٣. وبلا شك، لم يكن بقاء نصّور في المجلس سوى اعتراف من جانب النظام بمكانته، بوصفه وجيهاً وراثياً في عشيرة الحدادين العلوية بمنطقة جبلة. وفي حمص، عاد ابن قرية القيو زهير طرّاف (مستقل) مجدداً إلى المجلس بعد غياب في دورة ٢٠١٦، وهو العضو لثلاث دورات متواصلة قبلها، باعتباره ممثلاً لآل طرّاف، العائلة التي برز منها رجال دين عدة من الطائفة العلوية. ورغم التاريخ السياسي المعارض لبعض أبناء عائلة النقري العلوية، الكبيرة والممتدة في ريف حمص، حافظت العائلة على تمثيل شبه ثابت منذ عام ١٩٧٣ وحتى ٢٠٢٠ بانتخاب القاضي البعثي عبد الحميد محمد النقري.²⁹

ويبدو تعاطي النظام مع الطائفة الدرزية أكثر حذراً في هذا الشأن، فالأطرش ذوو التاريخ البارز والممثلون في دورتي ٢٠١٦ و ٢٠٢٠ بنشأت الأطرش، حافظوا على تمثيل شبه ثابت، قطعه أحياناً تمثيل لآل عامر المنافسين. وعلى الرغم من انصراف النسبة الأكبر من النخب المسيحية، في المدن الكبرى

²⁹ مثل العضو توفيق حسن النقري (الدورات ١٩٧٣-١٩٧٧-١٩٨١) والعضو سعد الله أسعد النقري (دورة ١٩٨٦).

خاصة، عن الشأن السياسي، إلا أن ذلك لم يمنع تمثل بعض العائلات البارزة، وإن حمل ذلك معاني اقتصادية كما في حالة جان موصلي (حلب)، تاجر الذهب وابن العائلة الثرية والعريقة في مجتمع المدينة، وكذلك ومنذ ٢٠٠٧ حمودة صباغ (الحسكة)، ابن العائلة العريقة في مدينة الحسكة وحفيد عضو مجلس شعب سابق (من جهة الأم) في خمسينات القرن الماضي.

اضطراب التمثيل السني وضعفه

بمقدار ما كشفت انتخابات ٢٠٢٠ وقبلها انتخابات ٢٠١٦، عن تضخم الدور السياسي لأمرء الحرب الذين يشكل السنة أكثرية بينهم، كشفت عن تراجع أدوار النخب السنوية التقليدية، بخلاف مضمون العقد الاجتماعي الذي أرساه الأسد الأب مع هذه النخب، وأخذ به الأسد الابن حتى عام ٢٠١١، ثم تحلل منه بالتدرج خلال تسعة أعوام من الصراع. ففي مجلس ٢٠٢٠، لا يوجد أي ممثل للتيار الديني السني الموالي للنظام في المدن، كما تناقص عدد الشيوخ العشائريين الوراثيين في الأرياف.

انقطاع التمثيل الديني السني

في سابقة لم تحدث منذ أول انتخابات برلمانية في عهد آل الأسد عام ١٩٧٣، غاب التيار الديني السني الموالي للنظام أو المتعايش معه عن تمثيل ٢٠٢٠ كلياً. كان الأسد الأب حريصاً دوماً على هذا التمثيل، حيث أبقى على ممثل ضمنى واحد أو اثنين حتى خلال صدامه واجتثاثه الدامي لجماعة الإخوان المسلمين في ثمانينات القرن الماضي،³⁰ قبل أن يوسع هذا التمثيل بدءاً من دورة ١٩٩٠ ويرفعه إلى ٤ أعضاء في ٢٠١٦، حملتهم في الغالب قوائم المستقلين من مدينتي دمشق وحلب، وأحياناً حمص واللاذقية، بالتحالف مع ممثلي رجال الأعمال التقليديين، وهو ما اعتُبر حينها بادرة حسن نية وانفتاحاً من جانب النظام على هذا التيار وعلى المجتمعات الأوسع التي ينتمي إليها.

كرست انتخابات ٢٠٢٠ النهاية التامة لتحالف رجال الدين ورجال الأعمال، حيث خلت القوائم الرئيسية للمرشحين المستقلين من مدينتي دمشق وحلب من أي وجوه دينية. ولم يظهر بين المرشحين النشطين سوى اثنين يمكن اعتبارهما من أبناء التيار الديني السني، كلاهما خسر في الانتخابات. الأول هو المحامي أحمد بهاء الدين، ابن الشيخ عبد اللطيف الفرפור (من مدينة دمشق)، والثاني هو محمد عبد السلام، ابن الشيخ عبد اللطيف الشامي الذي قتله مسلحون تابعون للجيش الحر صيف عام ٢٠١٢. وقد خاض محمد عبد السلام الانتخابات في حلب يحدوه أمل بأن يستأنف تمثيل عائلة الشامي كجزء من التيار الديني السني وبالاستناد إلى ولائها التاريخي للنظام.³¹ كذلك خلت قوائم البعث من أي مرشح يمثل التيار الديني السني، بعد استبعاد مفتي الحسكة البعثي عبد الحميد الكندح من قائمة الوحدة الوطنية النهائية بعد نجاحه الأولي في انتخابات الحزب الداخلية (الاستئناس). وأخيراً، لا يمكن اعتبار تعيين المهندس بشير غلاونجي، حفيد مفتي اللاذقية الراحل، على مقعد لحزب الاتحاد الاشتراكي العربي في اللاذقية تمثيلاً للتيار الديني، إذ لا صلة عملية بين التيار الديني وهذا الشاب، فضلاً عن أنه لم يقدم نفسه ممثلاً لهذا التيار.

³⁰ لم يغيب مروان شيخو، وهو مقدم برامج دينية وخطيب مسجد، عن مجلس الشعب منذ أول انتخابات برلمانية في العام ١٩٧٣ وحتى وفاته في ٢٠٠١.

³¹ بدءاً من خال أبيه الشيخ محمد الشامي الذي قتله الإخوان المسلمون في ثمانينات القرن الماضي، وأبناء خال الأب مدير أوقاف حلب السابق صهيب الشامي، وعضو مجلس الشعب السابق الشيخ عبد العزيز الشامي، ثم المهندس وعضو مجلس الشعب في دورة ٢٠١٢ أنس، الذي غادر البلاد ويُحسب على التيار الموالي لروسيا.

جاء الإبعاد الكامل لممثلي التيار الديني السنّي الموالي عن مجلس ٢٠٢٠ ليؤكد حالة الضعف التي يعاني منها هذا التيار، ويكشف عجزه عن الحفاظ على بعض مكتسباته السابقة، في حين يطلب منه أو من قاداته الرسميين في وزارة الأوقاف ودائرة الإفتاء، ومعهما بعض المجمعات والمدارس الدينية في مدينتي دمشق وحلب، وبعض شيوخ المصالحات الذين شجعوا آلاف الشبان المعارضين على الاستسلام في ريف دمشق، أن يواصلوا تأدية وظيفة هامة تتلخص بتقديم سرديّة دينية للصراع تؤيد النظام وتمنحه الشرعية. هذا التناقض بين تضخم الوظائف المطلوبة من قادة التيار الديني السنّي الموالي أمام ملايين المسلمين السنّة من جانب، وتضاؤل مكتسباته وغياب الاعتراف السياسي به من جانب آخر، لا بد أن يؤدي بمرور الوقت لإضعاف هؤلاء القادة الدينيين والحد من قدرتهم على التأثير، سواء بين السكان السنّة في مناطق سيطرة النظام أو ضمن التيار الديني ذاته.

الانصراف عن العشيرة

في تأكيد آخر على اضطراب التمثيل السنّي، تناقص عدد شيوخ العشائر من ١٩ في دورة ٢٠٠٧ إلى ٨ في دورة ٢٠٢٠، خمسة منهم كانوا أعضاء في الدورة السابقة. لم تكن العوامل المهمة التي أبقّت هؤلاء على مقاعدهم ذات طبيعة اجتماعية، بل عوامل أخرى أهمها: القدرات المالية والعسكرية والأمنية لكل عضو، وطبيعة المنافسين، والتدخل الأجنبي، وخريطة السيطرة.

فلا يزال عبد الكريم معاط اسماعيل، وهو شيخ لقبيلة بني عز الصغيرة قرب مدينة السلمية على أطراف البادية شرقي حماة، محتفظاً بمقعده، حيث لعبت الثروة الطائلة التي يمتلكها منذ عقود دورها في بقائه عضواً في مجلس الشعب عن حماة منذ ٢٠٠٧.³² وفي مدينة حلب، لا يزال حسن شعبان بري، بعائلته منذ ١٩٩٤ ثم بشخصه منذ ٢٠٠٧، مثلاً ثابتاً عن قوة العصابات وأوارها الاقتصادية ثم العسكرية. أما مهنا الفياض الناصر، الوارث المفترض لأبيه شيخ عشيرة البوسرايا في دير الزور، فقد تكيف مع المرحلة بتحويل اختصاص الميليشيا الصغيرة التي يقودها من قتال داعش إلى تهريب النفط. وتغلب حسن محمد المسلط، النائب عن دائرة الحسكة منذ ٢٠١٦، على ابن عمه نواف، وريث والده الشيخ والزعيم التاريخي لقبيلة الجبور عبد العزيز المسلط (توفي ١٩٩٩)، فحسن محمد وإن كان أقل شأنًا وتأثيراً من نواف، إلا أنه أبدى ولاءً ثابتاً للنظام على عكس ابن عمه.³³

وبينما لعبت الأنشطة الاقتصادية المسنودة بميليشيا عشائرية (بري والناصر) والظروف الانتخابية لإبعاد مرشح غير موثوق (حسن المسلط) دورها في احتفاظ بعض أعضاء مجلس الشعب بمقاعدهم، كان لانتشار القوات الأجنبية في آخر تجلياتها بعد عملية نبع السلام التركية في تشرين الأول ٢٠١٩ دورها أيضاً في وصول أعضاء جدد من شيوخ العشائر إلى مجلس الشعب لدورة ٢٠٢٠. ففي محافظة الحسكة،³⁴ فاز اثنان من المرشحين الذين تقربوا مؤخراً من القوات الروسية. فقد قام عبد الحميد أسعد الظاهر، شيخ قبيلة بني سبعة الصغيرة الذي يعمل وكيلاً مأجوراً بتجنيد أبناء قبيلته للقتال في ليبيا لصالح شركة فاغنر، بإقضاء

³² بنى معاط اسماعيل ثروته من خلال تجارة وتصنيع الأعلاف التي يديرها أحد شركائه في منطقة السلمية كعمل معطن، وتجارة المخدرات سابقاً بين لبنان والخليج وفق ما يردد أهل المنطقة، مستشهدين بإدانة اثنين من العاملين السابقين معه بهذه التهمة.

³³ التزم نواف المسلط الحياد عند اندلاع الثورة وخلال إقامته بعد ذلك في السعودية، إلى حين عودته إلى سوريا عام ٢٠١٩ وإعلان تأييده للنظام وعزمه على دفع أبناء القبيلة للوقوف "إلى جانب الدولة والجيش العربي السوري"، مبشراً في الوقت ذاته بعودة العلاقات السورية-السعودية. سبوتنيك، "الشيخ نواف المسلط: عودة مميزة للعلاقات السورية السعودية"، ٢٨ أيلول ٢٠١٩، <https://bit.ly/3h8RxGh>

³⁴ في الحسكة، شكل التنوع القومي (عرب، أكراد، سريان، آشوريين) والديني (إسلام، مسيحيون) والقبلي (جبور، طي، شرايين، وسواهم من القبائل الأصغر) منظوراً ثابتاً في انتقاء النواب في الماضي.

محمد القاسم العبد الرحمن، شيخ قبيلة طي الأكبر والأهم، الذي كان القائد الفخري لأكبر ميليشيا عربية في محافظة الحسكة ويحظى بعلاقات جيدة مع الحرس الثوري الإيراني. كما انتُخب لأول مرة طلال عبيد الخليل (بعثي)، الذي ورث عن أخيه الأكبر مشيخة فرع من قبيلة حرب الصغيرة بمنطقة رأس العين الحدودية مع تركيا. واستطاع الخليل، وهو ملاك زراعي، التقرب من ضباط ميدانيين روس بتقديم مزرعته ومزارع بعض إخوته لتكون مقرات قيادية للقوات الروسية المنتشرة على خطوط التماس مع الجيش التركي.³⁵ وفي دائرة مناطق حلب، برز خلال وبعد عملية نبع السلام دور دعائي واضح لمحمد خير الماشي، الذي كان عضواً في دورة ٢٠١٢، بوصفه شيخاً مفترضاً لعشائر البونى بمنطقة منبج شرق حلب، المنطقة التي تصاعد النزاع عليها بعد عملية نبع السلام بين المعارضة المدعومة من تركيا، والنظام المدعوم من حلفائه.

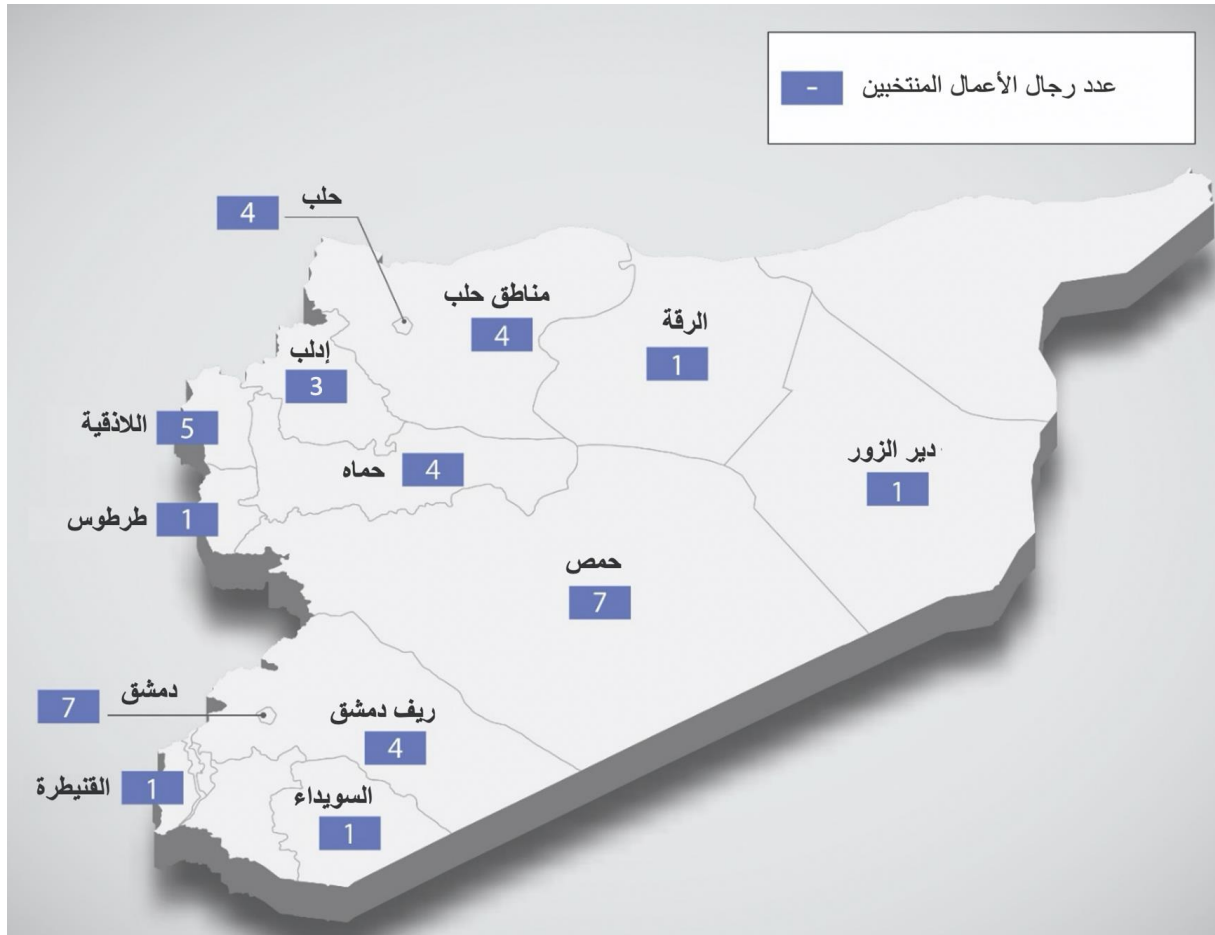
أكد تناقص عدد الأعضاء الذين يمثلون النخب التقليدية في المجتمعات العربية السنية حالة الضعف والتمزق والانقسام التي تمر بها هذه المجتمعات، مثلما أكد في الوقت ذاته لامبالاة النظام بالتمثيل الاجتماعي للعرب السنة. فمع غياب رجال الدين السنة عن مجلس ٢٠٢٠، وقبله، في ظاهرة أسبق، غياب الوجهاء المستقلين من أبناء العائلات العريقة في المدن الكبيرة (دمشق، حلب، حمص، حماة)، تبدد آخر اتصال طبيعي بين المجتمع السني المدني والنظام، ويبدو أن الأمر متجه في المسار نفسه في الأرياف السنية، بعد أن بدأ النظام استبدال نخبها المتمثلة بشيوخ العشائر بفاعلين جدد، لأن معظم هؤلاء الشيوخ عجزوا عن خدمته كما توقع منهم بعد الثورة، مقابل عنايته الطويلة بهم قبلها. وقد أفرزت تأثيرات الحرب من جهة وتغيرات في مقاربة النظام باتجاه المكونات الدينية من جهة ثانية، بدائل متنوعة عن النخب السنية التقليدية، منها الضباط المتقاعدون وقادة الميليشيات، وبنسبة أكبر رجال الأعمال من أثرياء الحرب. وعلى المدى القريب، قد تمنح هذه البدائل النظام قدرة أكبر على إحكام سيطرته عن طريق شبكات وسطائه ووكلائه المتجددة، لكن في المدى المتوسط والبعيد، ستفقد هذه الشبكة فاعليتها لانفصالها هي الأخرى عن مجتمعاتها.

³⁵ إلى حد كبير، استفاد طلال الخليل من قدرته المالية المتضخمة من خلال المحصول الممتاز لآلاف الدونمات التي يملكها بعد الأمطار الغزيرة في العام الزراعي ٢٠١٨-٢٠١٩.

الجزء الثالث: التأثير المتجدد والمتضخم لاقتصاد الحرب

تفاوت حجم تمثيل رجال الأعمال في الانتخابات البرلمانية الثلاثة التي نظمت بعد تفجر الصراع، فمن تناقص حاد في دورة ٢٠١٢ بسبب الاضطراب الهائل في الوسط التقليدي لرجال الأعمال، مقابل اهتمام النظام بالبحث عن نواب أوسع شهرة وشعبية؛ إلى زيادة في حجم التمثيل في دورة ٢٠١٦ التي أجريت بمعطيات وتأثيرات جديدة بعد أربع سنوات من الحرب؛³⁶ حصلت زيادة كبرى تمثلت في ٤٣ عضواً من رجال الأعمال في دورة ٢٠٢٠، بينهم ٣٠ يدخلون مجلس الشعب لأول مرة، و ١٤ دخلوا المجلس على مقاعد حزب البعث. وفضلاً عن الزيادة العددية الكبيرة لرجال الأعمال، اتسع الانتشار الجغرافي لهذا التمثيل باتجاه الأطراف والأرياف، وإن بقي لدمشق مركزيتها المعتادة، في حين بقي تمثيل حلب أقل من المعتاد قبل العام ٢٠١١.

الخريطة ٦ - توزع نواب رجال الأعمال حسب الدائرة الانتخابية (٢٠٢٠)



المصدر: المؤلف (بناءً على مسح ميداني)

³⁶ في الدراسة السابقة عن مجلس ٢٠١٦، حدد الباحثان ١٣ رجل أعمال استناداً إلى دراسة ملفات ٢٠٠ عضو، بينما تستند الدراسة الحالية عن مجلس ٢٠٢٠ على ملفات جميع الأعضاء البالغ عددهم ٢٥٠. تعرّف هذه الدراسة رجل الأعمال بالطبيعة الاقتصادية لنشاطه الرئيسي وبغض النظر عن حجمه، أو أحياناً من خلال التسمية التي استخدمها المرشح أثناء الحملة الانتخابية. تشمل فئة "رجال الأعمال" مجموعة واسعة من السمات، بما في ذلك المهربين والتجار والصناعيين وقادة الميليشيات السابقين الذين تحولوا إلى رجال أعمال.

الإبقاء على رجال الأعمال النافعين

بالمقارنة مع انتخابات ٢٠١٢ و ٢٠١٦، حين كان انخراط مرشحين من رجال الأعمال في الأنشطة العسكرية والأمنية هو رصيدهم الأهم الذي مكّنه من وصولهم إلى مجلس الشعب، أصبحت الخدمات الاقتصادية التي قدمها رجال الأعمال الطامحون بالفوز بعضوية مجلس ٢٠٢٠ في المقدمة. فقد تراجعت الحاجة وإن مؤقتاً للخدمات العسكرية، بسبب حالة الجمود التي دخلت فيها الحرب، وللخدمات الأمنية بعد استكمال اجتثاث المعارضين أو المشكوك بأمرهم بين السكان النازحين أو المقيمين الأصليين في مناطق النظام. وبتأثير الأزمة الاقتصادية المتفاقمة، بدأ معظم المرشحين من رجال العمال المستقلين حملاتهم الانتخابية بشعارات تؤكد تحديها للعقوبات الاقتصادية الدولية، وتأييدها للحملة الوطنية التي أطلقتها الحكومة لمواجهة جائحة كورونا. انعكاساً لهذه الأولويات، أُخليت مزيد من المقاعد لرجال الأعمال الصاعدين الذين صنعهم الحرب، فكانوا تعبيراً عن اقتصادها من جانب، وتعبيراً عن نوع استجابة السلطة لأزماتها الاقتصادية من جانب آخر.

في ظل هذه التغيرات من مرحلة إلى أخرى خلال الصراع، تمكن ١٣ عضواً سابقاً فقط من الاحتفاظ بمقاعدهم في مجلس ٢٠٢٠ (الجدول ٣ في الملحق). وباستثناء سامر الدبس، وهو الصناعي المعروف وابن العائلة البرجوازية الدمشقية العريقة، والذي تربطه علاقة شخصية قديمة ببشار الأسد،³⁷ والذي حافظ على موقعه منذ ٢٠٠٧ من خلال موقف ثابت وحاسم في تأييد النظام ليصبح رئيساً لغرفة صناعة دمشق وريفها في ٢٠١٤، لم يكن أي من هؤلاء الأعضاء يحظى بشهرة واسعة في وسط رجال الأعمال قبل ٢٠١١ أو قبل وصوله إلى مجلس الشعب، بل برزوا جميعاً عبر المساهمة بحشد التأييد وتقديم الخدمات المتنوعة لصالح النظام. أيمن ملندي مثلاً، وهو رئيس سابق ثم فخري لنادي الطليعة في مدينة حماة، عمل على التهذئة وإخراج المدينة من دائرة الصراع، قبل أن يصبح رئيساً لغرفة تجارة حماة في ٢٠١٨ ثم نقيباً للمقاولين في سوريا في شباط ٢٠٢٠.³⁸ وعلى نحو مشابه، احتفظ أعضاء آخرون بمقاعدهم في مجلس الشعب بعد أن انخرطوا في أنشطة أمنية في السنوات الخمس الأولى من الصراع، ووسعوا أعمالهم الاقتصادية بفضل العلاقات الوثيقة التي تربطهم بمراكز القرار في دوائر السلطة.³⁹

بالمقابل، استبعد بعض رجال الأعمال البارزين من أعضاء الدورة السابقة، مثل العضوين السابقين محمد حمشو، النائب عن دمشق منذ ٢٠٠٣ وأمين سر غرفة تجارة دمشق،⁴⁰ وفارس الشهابي، النائب عن حلب

³⁷ من لقاء مع مدير حكومي سابق من معارف سامر الدبس، أكد فيه بأن الدبس كان ضمن مجموعة صغيرة من رجال الأعمال تقربوا من بشار الأسد كجزء من تأهيله لوراثة أبيه بعد وفاة شقيقه باسل عام ١٩٩٤.

³⁸ في العام ٢٠١٩، دفع أيمن ملندي تجار حماة إلى إيداع أموال بالدولار في المصرف التجاري، وإلى المشاركة في مبادرة "البرتنا عزنا" لدعم الليرة السورية. بزنس ٢ بزنس سورية، "غرفة تجارة حماة تنضم لمبادرة قطاع الأعمال للوقوف بجانب الليرة السورية"، ١ تشرين الأول ٢٠١٩، <https://b2b-sy.com/news/56814>.

³⁹ في حمص، يتمتع المقاول وعضو مجلس الشعب منذ ٢٠٠٧ وائل ملحم بدعم القصر الجمهوري؛ ويرتبط رجل الأعمال في مجال التأمين وعضو مجلس الشعب منذ ٢٠١٢ بديع برهان الدروبي بأعمال وثيقة وسابقة بالإيرانيين؛ وكما نجح تاجر الأعلاف والدواجن والعضو منذ ٢٠٠٧ شريف السلوم الهدية بتوسعة أعماله برعاية المكتب الأمني للفرقة الرابعة منذ عام ٢٠١٢.

⁴⁰ أعلن محمد حمشو انسحابه قبل يومين من الانتخابات بعد قيادته لقائمة "شام" التي ضمت ٦ مرشحين آخرين، فاز منهم ثلاثة مرشحين (القاضي الشاب نهى محاييري، والمهندس المعماري محمد أكرم العجلاني، ورجل الأعمال محمد غزوان المصري). وضمت قائمة "دمشق" المنافسة لها سبعة مرشحين برئاسة رجل الأعمال سامر الدبس، فاز منها ٦ مرشحين هم الدبس ورجلا الأعمال محمد همام مسوتي وبلال نعال، وطبيب الأسنان عبد الرحمن الجعفري، والناشط السابق في الحزب القومي السوري الاجتماعي جميل مراد، ومهندس الميكانيك سامر الأيوبي. وبرزت خلال الحملة الانتخابية كل من قائمة "الياسمين" التي ضمت ٦ مرشحين فاز منها مرشحان اثنان هما رجل الأعمال عبد الرحمن المصري والناشط الاجتماعي عبد الرحمن عرابي، وقائمة "راية الشام" التي ضمت ٣ مرشحين فاز منها مرشحة واحدة هي الناشطة الثقافية نورا أريسيان.

في دورة ٢٠١٦ ورئيس غرفة صناعة حلب منذ ٢٠٠٩. 41 كذلك استبعد رجال أعمال صاعدون لم يدخلوا المجلس من قبل، مثل خالد الزبيدي (عن ريف دمشق) الذي انسحب بعد أن أنفق أموالاً طائلة خلال حملته الانتخابية، 42 ومثل المرشحين البارزين من الطائفة الشيعية في دمشق، مصان نحاس أمين سر الغرفة التجارية السورية-الإيرانية، وفهد درويش نائب رئيس هذه الغرفة. وقد يشير تغييب هذه الشخصيات البارزة في عالم الأعمال إلى رغبة الدائرة الحاكمة باستبعاد بعض النواب الإشكاليين، حيث تلاحق محمد حمشو اتهامات قضائية بالفساد، 43 ووسع فارس الشهابي المتهم هو الآخر بالفساد 44 دائرة خصومه من أمراء الحرب الذين حققوا انتصاراً ساحقاً في حلب. وعلى الرغم من إدراج حمشو والشهابي ومعهما خالد الزبيدي في لوائح العقوبات الدولية، إلا أن هذا العامل لا يبدو مؤثراً إلى حد كبير في عملية استبعادهم، حيث دخل المجلس أربعة من رجال الأعمال المدرجين ضمن لوائح العقوبات. 45

ضمن آليات الاختيار التي لا يبدو فيها أن عامل العقوبات كان حاسماً لوحده في جميع الحالات، يبدو أن ثلاثة عوامل أخرى قد ساهمت في إعادة انتخاب الأعضاء السابقين: أولاً قوة المركز الذي يتبادل المرشح معه المنافع في دائرة الحكم الضيقة حول بشار الأسد (الدبس وملحم والدربي والهدبة) (انظر أدناه)، وثانياً مجال العمل وساحته والقدرة على إرضاء صناعات القرار (قاطرجي نموذجاً، كما سنرى في دراسة مجالات العمل الرئيسية لرجال الأعمال)، وثالثاً الرغبة الشخصية أو الطموح بلعب دور سياسي، حيث لا تزال عضوية مجلس الشعب خارج اهتمام رجال أعمال كبار (مثل سامح ترزي، وسيم قطان، خضر طاهر، سامر فوز). وإلى حد كبير، ساهمت هذه العوامل الثلاثة أيضاً في وصول النواب الثلاثين المنتخبين لأول مرة في عام ٢٠٢٠. مع استثناءات قليلة، يتشارك الأعضاء الأسبق من رجال الأعمال مع نظرائهم الجدد بأنهم راكموا ثروتهم أو الجزء الأكبر منها مستفيدين من الفرص التي أتاحتها اقتصاد الحرب الناشئ بعد عام ٢٠١١، وبأنهم ينحدرون من طبقات وسطى، أو دنيا بنسبة أقل، أي من الحرفيين وصغار التجار والفلاحين والموظفين الحكوميين. وبينما تتراوح أعمار معظم الأعضاء الأسبق بين ٤٥ و ٦٠ عاماً، يبدو النواب الجدد أو معظمهم أصغر سناً، وتتراوح أعمارهم عموماً بين ٣٠ وحتى ٤٥ عاماً. بالإضافة إلى ذلك، تقع الأعمال الرئيسية لرجال الأعمال الجدد في مجلس الشعب - أو ما يعرف منها - داخل سوريا، ما قد يقلص من تأثير العقوبات الدولية على هذه الأعمال في حال شملتهم.

المزيد من الأثرية الجدد في مجلس الشعب

بما يعكس التحول نحو مجالات العمل غير المنتجة، يتشارك معظم رجال الأعمال في مجلس الشعب ٢٠٢٠ في أربعة مجالات رئيسية، وهي تجارة الغذائية والبناء والوساطة المالية وتهريب النفط (الجدول ٣ في

41 توزع المستقلون المهمون في مدينة حلب (٨ مقاعد للمستقلين) على قائمتين رئيسيتين: قائمة "حلب الشهباء" برئاسة فارس الشهابي التي لم يفز أي من مرشحيها، وقائمة "حلب الأصالة" برئاسة حسن شعبان بري التي فاز ٦ من مرشحيها. أما الفائزان الأخران حسام القاطرجي وجيرار أوخانس رئيسيان فترشحا منفردين.

42 تقاطعت حملة الزبيدي الانتخابية مع انخراطه الدعائي في حملة التصدي لـ"كورونا". صفحة أخبار الصناعة السورية على فيسبوك، "مبادرة رجل الأعمال السوري خالد زبيدي... لتوزيع ٣ ملايين ربطة خبز على المواطنين"، ٢٣ آذار ٢٠٢٠، <https://bit.ly/33HN1v6>

43 روسيا اليوم العربية، "رجال أعمال جدد يدخلون القائمة.. ما دلالات الحجز على أموال أثرياء سوريا؟"، ٢٥ كانون الثاني ٢٠١٩، <https://bit.ly/3bY8Ysj>

44 سناك سوري، "صناعي سوري يتهم "الشهابي" بالفساد والأخير يؤكد أنه سيلجأ للقضاء!"، ٢٨ نيسان ٢٠١٩، <https://bit.ly/3mBKWlz>

45 سامر الدبس وحسام قاطرجي وبلال نعال وعامر تيسير خيتي، إضافة إلى عدد آخر من النواب هم أعضاء مجلس إدارة في كيانات مدنية معاقبة مثل شركة دمشق الشام القابضة، كما في حالة النائب عن مدينة دمشق عبد الرحمن المصري، أو مرتبطين بكيانات عسكرية معاقبة مثل الفرقة الرابعة.

الملحق)، وهي الأعمال التي ازدهرت في ظل الحرب وتبدو في الوقت نفسه مفيدة للنظام الذي يعاني من أزمة اقتصادية متفاقمة، ولأنها الأكثر ربحية اليوم مقارنة بأنواع العمل الأخرى، فهي تقوّي الموقع المالي لمن يعمل فيها من الطامحين بدخول المجلس، وتوسّع قدرته على تبادل منافع خاصة مع مراكز القرار أو النفوذ المؤثرة.

في ظاهرة خلقتها الحرب، تجسدت في النزوح الداخلي ضمن منطقة سيطرة النظام، ازدهرت تجارة الغذائية وتجارة التجزئة على نحو أعم، وأعمال المطاعم، خصوصاً في مدن دمشق وحماة واللاذقية، وهي المدن التي أصبحت مقصداً رئيسياً للنازحين، ما تسبب في ارتفاع الطلب على المواد الغذائية والسلع المرتبطة بسبل العيش اليومي. من رجال الأعمال الجدد في مجلس ٢٠٢٠، يعمل سبعة على الأقل في مجال الغذائية والمطاعم، وتجري الأعمال الرئيسية لأربعة منهم في العاصمة، بينما عمل الثلاثة الآخرون باستثمار المطاعم في مدينتي حماة واللاذقية. وفي سياق الحملات الوطنية التي أطلقتها الحكومة السورية لمواجهة الأزمة الاقتصادية وجائحة كورونا، كان لتجار الغذائية وأصحاب المطاعم مساهمات واضحة، مع الإشارة إلى أن معظم المرشحين انخرطوا وبدرجات متفاوتة وبأهداف دعائية في هذه المبادرات. ففي دمشق، برز محمد غزوان المصري – الذي يعد استثناء بين رجال الأعمال الجدد في مجلس ٢٠٢٠، فهو يتمتع بتاريخ صناعي من خلال شركة المراعي لصناعة الأجبان التي أسسها قبل الثورة – مُبدياً نشاطاً ملحوظاً في هذه الحملات بالتزامن مع ترقيته رسمياً وسط رجال الأعمال ليصبح أمين سر غرفة صناعة دمشق وريفها بين العامين ٢٠١٩ و٢٠٢٠، وخازناً لاتحاد غرف الصناعة السورية منذ ٢٠١٩. جسّد المصري بوضوح نموذج رجل الأعمال المساند للنظام، لا سيما بانخراطه النشط في حملة دعم الليرة السورية خريف عام ٢٠١٩،⁴⁶ ثم بحملة التصدي لجائحة كورونا بتقديم فندق يستثمره قرب مطار دمشق الدولي إلى وزارة الصحة كي تحوله إلى مركز حجر طبي.⁴⁷ تجدر الإشارة إلى أن ازدهار تجارة التجزئة وأعمال المطاعم شجع رجال أعمال آخرين في مجلس الشعب ممن بدأوا أعمالهم في قطاعات أخرى على الاستثمار في المطاعم، مثل سامر الدبس الذي أسس مع رجال أعمال آخرين شركة مولنا المحدودة المسؤولة عام ٢٠١٩، وبلال نعال، رجل الأعمال الصاعد، الذي أسس مع شريك له سلسلة مطاعم جديدة باسم "مطاعم جدو أبو عماد" عام ٢٠١٩.⁴⁸

في ظل الحرب التي تركت آثارها الأوضح تدميراً على العمران، كانت أعمال البناء وتجارة العقارات مجالاً مربحاً لـ ١٢ عضواً على الأقل من مجلس ٢٠٢٠، خمسة منهم أعضاء سابقون وسبعة جدد. وبتأثير مباشر لحركات النزوح واتجاهاته، يبدو أن تجارة العقارات كانت مصدراً مزدهراً لتراكم الثروة بشكل خاص في دائرتي اللاذقية، ثم حمص بدرجة أقل.⁴⁹ لكن أعمال المقاولات عموماً كانت أيضاً مصدر أرباح كبيرة

⁴⁶ سيريانديز، "دعم الليرة مبادرة وطنية.. وتعزيز الثقة بها واجب"، ٢١ أيلول ٢٠١٩، <https://bit.ly/3hMIHzC>.

⁴⁷ وبطريقة مماثلة، تبرع عبد الكافي عقدة، رئيس جمعية المقاهي والمطاعم في حماة الذي يمتلك سلسلة مطاعم شهيرة هناك، بوجبات طعام يومية من مطعمه للمعزولين في مراكز الحجر بشبهة الإصابة بفيروس كورونا، كما مول بالشراكة مع رجل أعمال آخر حملة تعقيم لمباني بعض المؤسسات الحكومية الهامة مثل مبنى المحافظة ومجلس المدينة والمشفى الوطني في مدينة حماة.

⁴⁸ إعمار سورية، "بالصور: بلال نعال وعماد السيد يطلقان سلسلة مطاعم جدو أبو عماد بدمشق"، ٦ كانون الثاني ٢٠١٩، <https://www.emmarsyria.com/post/96>.

⁴⁹ في مدينة حمص، ساهمت التجارة بمنازل النازحين المهجرين من بعض الأحياء ذات الأغلبية السنية بتضخم ممتلكات بعض تجار العقارات. على سبيل المثال، استطاع منذر إبراهيم، وهو طبيب منقرغ لتجارة العقارات، شراء مئات المنازل في الأحياء المهجورة والمدمرة، ولا سيما في حي بابا عمرو، قبل إعادة بيعها لتجار آخرين ينتظرون "إعادة الإعمار". كما استفاد المقاولان من اللاذقية راسم المصري وأيهم جريكوس من ظاهرة النزوح إلى المدينة، ما رفع الطلب على المنازل ونشط حركة بناء العمارات السكنية الشعبية. مثلاً بدأ راسم المصري حياته في تسعينيات القرن الماضي معقّب معاملات و"سمسار رخص" أمام الدوائر الحكومية في مدينة اللاذقية، قبل أن يتحول إلى مقاول بناء صغير إلى حين ارتفع الطلب على المنازل بدءاً من صيف العام ٢٠١٢ بسبب النزوح إلى المدينة والقرى القريبة منها بين قريتي بسنادا وسقوبين، حيث ازدهرت أعمال المصري وراكم الجزء الأكبر والأهم من ثروته.

لبعض رجال الأعمال في دمشق، كما يتضح من صعود بلال النعال، الذي بدأ حياته المهنية بائعاً في محل تجاري صغير تملكه أسرته، قبل أن يوسع أعماله، مستغلاً عضويته السابقة - حتى ٢٠١١ - في مجلس محافظة دمشق، ومستفيداً من دعم محافظ دمشق بشر الصبان بين العامين ٢٠٠٦ و ٢٠١٦. ومن هنا، بنى النعال الجزء الأكبر من ثروته عن طريق عمله كمقاول رئيسي في المشاريع التي تمويلها المنظمات الأممية،⁵⁰ قبل أن ينخرط في مشروع مدينة ماروتا سيتي للشقق السكنية الفخمة في مدينة دمشق، وبنوع استثماراته وأنشطته (افتتاح مول تجاري ضخم، وتأسيس شركة أمنية، وسلسلة مطاعم، إضافة إلى أعمال في مجال الصرافة).⁵¹

وبتأثير العقوبات الدولية التي بدأت تفرض على سوريا منذ شهر آب ٢٠١١،⁵² فضلاً عن خصائص اقتصاد الحرب، ازدهرت أيضاً أعمال بعض البنوك الخاصة وأعمال شركات تحويل الأموال والصرافة. وفي انعكاس لهذه الظاهرة، كانت البنوك والتحويلات المالية مجال عمل خمسة على الأقل من أعضاء مجلس ٢٠٢٠، مثل نبيل إلياس (اللادقية)، الطبيب المخبري الذي هجر مهنته ليصبح مصرفياً وعضو مجلس إدارة في بنك سورية الدولي الإسلامي في العام ٢٠١٦،⁵³ ثم عضو مجلس إدارة سوق دمشق للأوراق المالية في العام ٢٠١٨. كذلك ينشط إلياس في جمعية الفوز الخيرية (التابعة لرجل الأعمال سامر الفوز). في مجرى آخر ضمن هذا المجال، تحول عدنان عبد الوهاب الحمد، تاجر المواشي الصغير السابق الذي أصبح نائباً عن دائرة مناطق حلب، إلى رجل أعمال بفضل الأرباح الكبيرة التي حققها من عمله وكيلاً لشركة الهرم الضخمة لتحويل الأموال في مدينة منبج، ذات الموقع الهام كمحطة لطرق التجارة بين ثلاث مناطق تسيطر عليها قوى عسكرية مختلفة (قوات سوريا الديمقراطية والمعارضة والنظام). ولا تقتصر الوساطة المالية على رجال الأعمال الذين جعلوها عملهم الرئيسي، بل تتقاطع إلى حد كبير مع أعمال أخرى، تجارية أو صناعية شكلية في أغلب الأحيان، وتشكل جانبها المربح الذي ساهم في وصول بعض أعضاء مجلس الشعب الشبان. مثال ذلك تاجر القماش محمود نظيف أبو بكر (حلب)،⁵⁴ الذي دخل شبكة لتهريب العملات الصعبة لملاك أثرياء باعوا ممتلكاتهم في حلب، ولنقل وتبييض الأموال التي جمعها تاجر حرب صاعدون وقادة ميليشيات، وكانت الوجهة الرئيسية لهذه الأموال المهربة دولة الإمارات ثم روسيا بدرجة أقل.⁵⁵

وأخيراً، شكلت العوائد الضخمة لتهريب النفط ومشتقاته ثروات أو الجزء الرئيسي والأهم من ثروات ستة على الأقل من رجال الأعمال في مجلس الشعب ٢٠٢٠. وكان لوقوع الثروات الطبيعية، من النفط والحبوب

⁵⁰ رانيا شحيدة ورولا أحمد، "شركة سورية تحرق احتكار الشركات الخارجية لعقود المنظمات الدولية وتنتجها محلياً.. بلال النعال:

شعارنا نكون أو لا نكون"، سيرياينديز، ٢٣ آذار ٢٠١٦، <https://bit.ly/3jZm6A7>.

⁵¹ الاقتصادي، "بلال محمد النعال"، محتوى غير مؤرخ، <https://bit.ly/3iUK52q>.

⁵² بتأثير العقوبات الأولى على القطاع المالي والمصرفي السوري، تزايد اعتماد النظام على القطاع المالي والمصرفي الخاص، حتى بعد العقوبات الدولية الجديدة التي بدأت تطل القطاع الخاص أيضاً بدءاً من العام ٢٠١٢.

⁵³ يخضع هذا البنك لعقوبات وزارة الخزانة الأمريكية منذ أيار ٢٠١٢، وخضع لعقوبات أوربية مماثلة بين العامين ٢٠١٢ و ٢٠١٤، من دون أن تتأثر أرباحه حسبما يثبت تقريره السنوي للعام ٢٠١٧، أنظر: الأسواق الإسلامية، "بنك سورية الدولي الإسلامي: التقرير السنوي ٢٠١٧"، محتوى غير مؤرخ، <https://bit.ly/32PLC56>. ازدهار أعمال البنك مكنته من التوسع تأكيداً "على رغبة البنك بالمساهمة الفاعلة في عملية الإعمار ورفد الاقتصاد الوطني بمتطلبات النمو والانتعاش"، وفق تصريح عزيز صقر رئيس مجلس إدارة البنك حتى أيلول ٢٠٢٠. أنظر: سانا، "بنك سورية الدولي الإسلامي يفتتح فرعاً جديداً في مشروع دمر"، ١٨ تموز ٢٠١٩، <http://www.sana.sy/?p=981349>.

⁵⁴ كما هو معروف في الوسط التجاري الحلبي اليوم، يدين محمود نظيف أبو بكر في وصوله إلى مجلس الشعب لشقيقه الأكبر زاهر، الذي تولى قيادة العائلة بعد رحيل الأب، وأنقذها من الإفلاس بعد انهيار تجارة الأقمشة مع توقف مصانع حلب والدمار الهائل الذي لحق بالسوق التاريخي والتجاري الأهم، حيث تملك أسرة أبو بكر متجرها الخاص. وبرعاية وضمادة مفتي الجمهورية أحمد حسون، الذي تربطه علاقة قديمة بالأسرة، نجح الأخوان أبو بكر في تنويع أنشطتهما الاقتصادية.

⁵⁵ لقاء عبر الانترنت مع مخلص جمركي سابق في مدينة حلب.

خاصة، في الجزء الخارج عن سيطرة النظام منذ عام ٢٠١٢، وكذلك وقوع مصفاتي النفط الرئيسيتين في الجزء الخاضع لسيطرة النظام، أثر كبير في تنامي ظاهرة تهريب النفط الخام ومشتقاته. ويمثل حسام قاطرجي، أمير الحرب البارز وعضو مجلس الشعب للمرة الثانية، النموذج الأكثر شهرة في هذا المجال، كوسيط تجاري منذ ست سنوات تقريباً في توريد النفط الخام من حقوله الرئيسية في المنطقة الواقعة تحت سيطرة قوات سوريا الديمقراطية – وقبلها تنظيم داعش – إلى مصفاة حمص في منطقة سيطرة النظام. وإلى جانب قاطرجي، الذي تقع معظم أعماله المربحة في سوريا ويُعرف بسخائه مع قادة حزب البعث وضباط المخابرات المؤثرين بين حلب ودمشق، دخل اثنان من وكلائه المحليين مجلس الشعب لأول مرة: الشاب بشار المخسور (الرققة) وهو وكيل قاطرجي في الجزء الخاضع لسيطرة النظام شرق الرقة، ومدلول عمر العزيز (دير الزور) الوكيل السابق لقاطرجي في دير الزور بين العامين ٢٠١٤-٢٠١٨، قبل أن ينفصل عنه بأعمال تهريب نفط مستقلة، ويتحول إلى رجل أعمال مرخص بتأسيس شركة تجارية باسم "شام العزيز" في تموز ٢٠١٩.⁵⁶ وفي حركة عكسية، عمل أعضاء آخرون في تجارة وتهريب الوقود والمشتقات النفطية إلى المناطق الخارجة عن سيطرة النظام، مثل بسيم يوسف ناعمة، ابن قرية تل جديد العلوية في منطقة السلمية بريف حماة، الذي استغل موقع قريته القريب من المناطق الخارجة عن سيطرة النظام في البادية حيث يملك محطة وقود، ليعمل في تصدير مشتقات النفط المكرر في مصفاة حمص إلى هذه المناطق.⁵⁷

ومثلما كان تأسيس الشركات محطة تحول عبرها المهزّبون إلى رجال أعمال مرخصين، كان كذلك أيضاً بالنسبة لبعض قادة الميليشيات الذين تفرغوا للتجارة والتهريب بعد أن توقفت المعارك في معظم جبهات القتال. فتحول عضو مجلس الشعب المستقل عن دائرة مناطق حلب منذ ٢٠١٦ حسن شهيد، من قائد لميليشيا "فوج العساسنة" إلى رجل أعمال مرخص عبر شركته "شهيد إخوان للتوريدات والنقل"، وكذلك تحول النائب الجديد عن دائرة إدلب فؤاد علداني من قائد مجموعة نمور الأسد في "الفرقة ٢٥" المعروفة بقوات النمر، إلى صناعي وتاجر يرأس مجلس إدارة "مجموعة الفؤاد الصناعية التجارية" بحسب ما قدم نفسه خلال الانتخابات.⁵⁸

ورغم التمايز الأولي بين مجالات العمل السابقة تلك، إلا أن بعض أعضاء مجلس الشعب الذين بدأوا حياتهم المهنية من مجال عمل محدد تحولوا إلى رجال أعمال متعددي الاهتمامات. هكذا فعل عامر تيسير خيتي ابن مدينة دوما في ريف دمشق، تاجر الخضار الذي أوشك على الإفلاس عام ٢٠١٣، فرحل إلى لبنان وانخرط في شبكة تهريب مخدرات لبنانية-سورية تابعة لحزب الله،⁵⁹ قبل أن يعود وينضم إلى الشبكة الاقتصادية التابعة للفرقة الرابعة ويستأنف عمله السابق ويصبح رئيساً للجنة مصدري الخضار والفواكه، ثم يؤسس شركات عدة في مجال مقاولات البناء والتحويلات المالية وصناعة البلاستيك.⁶⁰ ومثل غيره من أثرياء الحرب الصاعدين، بدأ خيتي، الذي أعاد تأهيل بعض المباني الحكومية على نفقته في مدينة دوما،

⁵⁶ الاقتصادي، "مدلول عمر العزيز"، محتوى غير مؤرخ، <https://bit.ly/33piPDF>.

⁵⁷ ومثل نانين آخرين، كليهما عن دائرة ريف دمشق، عملاً بتهريب وتجارة المشتقات النفطية، ويرتبطان مباشرة بالمكتب الأمني التابع للفرقة الرابعة، وهما علي محمود رشق، ابن قرية فليطة القريبة من الحدود اللبنانية شمال دمشق، وعضو مجلس محافظة ريف دمشق منذ ٢٠١٨، وأحمد صبحي عباس، ابن قرية الروسية الصغيرة في ريف جبلة، الذي تضخمت ثروته خلال سنوات قليلة بعد العام ٢٠١٤، من شريك بمحطة وقود يمتلكها والده في جبلة قبل العام ٢٠١١، إلى مالك لأكثر من ٥٠ محطة وقود، قبل أن يؤسس شركة خبراء الطاقة والاستثمار في آذار ٢٠٢٠. انظر "دليل الشركات المؤسسة حديثاً"، <https://bit.ly/3k9CHkE>.

⁵⁸ شاهد فيديو تعريفي دعائي نشره علداني بفيديو "تعرف على المرشح المستقل فئة ب فؤاد علداني أبو حيدر"

<https://www.facebook.com/watch/?v=889984874822446>

⁵⁹ لقاء عبر الإنترنت مع أحد معارف خيتي من أبناء مدينته دوما.

⁶⁰ الاقتصادي، "عامر تيسير خيتي"، محتوى غير مؤرخ، <https://bit.ly/2GqaTdW>.

بلعب أدوار تنموية وخيرية ومن ثم اجتماعية في المحصلة، من خلال عضويته في اللجنة التنموية التابعة لمجلس مدينة دوما، معتمداً في ذلك على اسم عائلته الكبيرة في المدينة – بالرغم من انضمام الكثير من أبنائها إلى صفوف المعارضة – وعلى علاقاته المتشعبة مع مراكز التأثير بدوائر السلطة لا سيما المكتب الأمني للفرقة الرابعة.

قد تشير الزيادة الكبيرة في تمثيل رجال الأعمال في مجلس ٢٠٢٠ إلى عزم النظام على إشراكهم في محاولات النجاة من تأثيرات الأزمة الاقتصادية المتفاقمة. ولكن نتائج الانتخابات عكست أيضاً الصعود السياسي الواضح لأثرياء الحرب، مما يؤكد ضالة الخيارات المتاحة أمام السلطة السياسية لمواجهة هذه الأزمة الاقتصادية على نحو فعال. في الوقت نفسه، راكم معظم رجال الأعمال هؤلاء ثرواتهم ونوعوا أعمالهم خلال الحرب من خلال العلاقات الوثيقة التي تربطهم بمراكز النفوذ والقرار في دوائر السلطة.

الجزء الرابع: مراكز القوى والتدخل الأجنبي

عكست نتائج انتخابات مجلس الشعب ٢٠٢٠ جانباً من التحولات الخاصة بمراكز القوة والتأثير: الداخلية حول بشار الأسد، والخارجية المتجسدة في الدور الإيراني على وجه الخصوص، في حين لم تظهر دلائل واضحة على تدخل روسي في هذه الانتخابات.⁶¹ وعلى الرغم من صعوبة فرز الأعضاء على أساس ولاءاتهم الشخصية لمراكز القوى، بسبب تعدد الولاءات وغموضها وتغيرها أحياناً، إلا أن تأثير هذه الولاءات أو شبكات المحسوبية ظهر بوضوح في حالة بعض الأعضاء في مجلس الشعب ٢٠٢٠. فمقابل إقصاء رجل الأعمال رامي مخلوف، ابن خال بشار الأسد الذي تمكن بعض أتباعه السابقين من المستوى المتوسط من إثبات ولاءهم للأسد وانفصالهم عن مخلوف، مستفيدين من تنوع علاقاتهم بمراكز قوى أخرى،⁶² تصاعد دور أسماء الأسد، زوجة بشار، في حين حافظ شقيقه ماهر قائد الفرقة الرابعة على نفوذه وقدرته على التأثير.

نواب القصر الجمهوري والسيدة الأولى

يبدو أن تدخل القصر الجمهوري، لا سيما من خلال أسماء الأسد، قد اتسع في مجلس الشعب ٢٠٢٠ وفق ما تُثبت ظاهرتان، الأولى انتخاب ناشطين في الحقل الخيري والتنموي، يمكن اعتبار العدد الأكبر فيهم من المحسوبين على السيدة الأولى؛ والثانية انتخاب أو إعادة انتخاب عدة أعضاء مرتبطين مباشرة بموظفي القصر الجمهوري أو بالزوجين الرئيسيين. فكانت الأنشطة التنموية والإنسانية والثقافية التي انخرطت فيها أسماء الأسد، والتي تتوافق مع رغبة زوجها بتقديم صورة منفتحة وحديثة عن نفسه، مجالاً أضيف من خلاله فاعلون جدد في جوانب تنموية وثقافية قبل الثورة، وفي جوانب اقتصادية وخيرية بعدها. وكان وصول بعض هؤلاء إلى مجلس الشعب في دورة ٢٠١٦ دليلاً على حاجة القصر لخدماتهم، وكشف وصول عدد أكبر منهم إلى المجلس في دورة ٢٠٢٠ عن رغبة متزايدة لـ "سيدة القصر" بلعب دور سياسي، لا سيما عبر منظمات المجتمع المدني في محافظتي طرطوس وريف دمشق على وجه خاص.

فمن بين تسعة أعضاء شكّل العمل الاجتماعي الخيري الجزء الرئيسي من رأسمالهم السياسي قبل دخول المجلس (الجدول ٤ في الملحق)، يمكن اعتبار ٦ منهم محسوبين على أسماء الأسد، جميع هؤلاء هم من النواب الجدد، وجميعهم انخرطوا بنشاط في برامج ومشاريع ذات صلة وثيقة بالأمانة السورية للتنمية، المنظمة غير الحكومية التي أسستها أسماء الأسد عام ٢٠٠٧. واللافت أن ثلاثة منهم من أبناء الطائفة العلوية في طرطوس،⁶³ الدائرة التي حُصت فيها ثلاثة مقاعد في دورة ٢٠١٦ لعائلات القتلى من جنود النظام،

⁶¹ استفاد بعض أعضاء المجلس من انتشار القوات الروسية، مثل عبد الحميد الظاهر وطلال الخليل من دائرة الحسكة، وارتبط بعض الأعضاء الآخرين بالعميد سهيل الحسن ضابط المخابرات الجوية وقائد الفرقة ٢٥ المدعوم من الروس، مثل فؤاد علواني من دائرة إدلب، وعروبة محفوض عبر زوجها القيادي أيضاً في هذه القوات، وبدرجة أقل المحامي عيسى وسوف، وكلاهما من دائرة حماه. ولكن هذه الأمثلة لا تثبت وجود تدخل سياسي روسي مباشر في الانتخابات.

⁶² مثلاً، استطاع بلال نعال، الذي التحق في البداية بشبكة رامي مخلوف من خلال محافظ دمشق الأسبق، تنويع مصادر دعمه وشراكاته مع مراكز قوى مختلفة، منها فادي صقر، قائد قوات الدفاع الوطني في مدينة دمشق ثم عضو في قيادة فرع البعث في المدينة. كما نجح جميل مراد، وهو قيادي سابق في الجناح المنحل من الحزب السوري القومي الاجتماعي، المعروف بجناح الأمانة العامة التابع لمخلوف، بدخول مجلس الشعب كمستقل في دمشق. وقد استفاد جميل مراد من مؤهلاته الأخرى كناشط ثقافي في مؤسسة تاريخ دمشق التي تدعمها بئينة شعبان مستشارة الأسد، وكشخصية عامة من الوسط المسيحي يحظى بقبول كل من مجتمعه في مسقط رأسه صيدنايا وكنيسة الروم الأرثوذكس التي ينتمي إليها.

⁶³ هم الطبيب سهيل سلامة خضر (مستقل)، رئيس فرع منظمة الهلال الأحمر السابق في محافظة طرطوس ٢٠١٣-٢٠١٩، ثم رئيس فرع مؤسسة العرين التي أسسها بشار الأسد وزوجته أسماء؛ والطبيب محمد عبد الحلیم جري (بعثي) مؤسس جمعية سوا الخيرية في بلدته كرتو ثم عضو المكتب التنفيذي بمجلس المحافظة، والمسؤول عن قطاع الاغاثة والشؤون الاجتماعية؛ والمدرسة الشابة في كلية

والتي تعكس قائمة نوابها شكل رعاية النظام واهتمامه بحواضنه الاجتماعية. أما العضو الرابع، فهو طبيب أسنان من حمص يعمل في علاج جرحى الحرب وعائلات القتلى بالمجان أو بأجور مخفضة. ويلعب عضو خامس (رئيس بلدية الحرجلة في ريف دمشق) دوراً لافتاً في استقبال آلاف النازحين بمراكز الإيواء في بلدته. وترأس العضو السادس فرع منظمة خيرية كبرى (نور للإغاثة والتنمية) في محافظة القنيطرة.

بالإضافة إلى هؤلاء النواب الستة الذين يدينون بوصولهم لمجلس الشعب إلى انخراطهم في أنشطة خيرية مدعومة من الأمانة السورية للتنمية، عزز بعض النواب البعثيين مواقعهم في الحزب وترقوا في صفوفه أو في صفوف التنظيمات التابعة له، اعتماداً على علاقتهم بالأمانة السورية للتنمية، قبل دخولهم المجلس كممثلين عن تنظيماتهم الحزبية. ينطبق ذلك على حكمت العزب (ريف دمشق)، الذي أدار بعض مشاريع الأمانة المخصصة للنازحين،⁶⁴ ثم ترقى من رئيس لرابطة فلاحي داريا إلى عضو في المكتب التنفيذي للاتحاد العام للفلاحين عام ٢٠١٦، ليدخل مجلس الشعب في ٢٠٢٠ كممثل عن هذا الاتحاد. وعلى نحو مشابه تقريباً، فعل محمد عبد الله عجيل (اللاذقية) عضو المكتب التنفيذي لاتحاد الطلبة (٢٠٠٧-٢٠٢٠) تعزيراً لهذا الموقع من خلال نشاطه الموازي، بصفته أمين سر فرع اللاذقية لمجلس الشباب السوري،⁶⁵ المتصل أو التابع عملياً للأمانة السورية للتنمية.⁶⁶ إلى حد كبير، تُبرز هذه الأمثلة البرلمانية نمط العلاقة السائد اليوم بين حزب البعث وأسماء الأسد، فبعد أن كانت تنافسية تقريباً قبل الثورة، بسبب التناقض بين النزعة التحديثية المرنة لدى أسماء والبيروقراطية المحافظة لدى البعث، أصبحت شبه تكاملية، حيث صار البعث أضعف أمام أسماء الأسد، يحاول أن يكيف نفسه مع توجهاتها، ويسعى بعض قاداته لا سيما من الأجيال الشابة للانتماء إلى الشبكات التي ترعاها السيدة الأولى، أملين في زيادة رأسمالهم السياسي من خلال هذه الشبكات، وبما يعزز من فرص صعودهم وترقيهم في صفوف الحزب.

إلى جانب الأعضاء القادمين من العمل الخيري والتنموي، يظهر أعضاء آخرون، خصوصاً في دمشق، انخرطوا في شؤون ثقافية أو قانونية أو في أوساط الأعمال، واستفاد كل منهم من علاقته الشخصية مع بعض موظفي القصر للوصول إلى مجلس الشعب كمستقلين. فبالإضافة إلى النواب السابقين في دورة ٢٠١٦ وأعيد انتخابهم في عام ٢٠٢٠،⁶⁷ مثل رجل الأعمال همام مسوتي (دمشق) زوج الموظفة البارزة في القصر الجمهوري لينا كناية، دخل رجل الأعمال الشاب زين العابدين عباس (اللاذقية) المجلس بفضل دعم عائلي، من جهة والد زوجته وزير شؤون رئاسة الجمهورية منصور عزام، ومن جهة أبيه سفير سوريا في الهند.⁶⁸

الاقتصاد جامعة طرطوس رانيا محسن حسن (بعثية) عضو مجلس المحافظة والناشطة البارزة بمبادرات تطوعية لرعاية الجرحى وعائلات القتلى بجيش النظام، وفي برامج مشاريع الأعمال الصغيرة التي يمولها برنامج الأمم المتحدة الإنمائي. ومن اللافت أن سهيل سلامة خضر ورانيا محسن حسن ينتميان إلى بلدة/قرية جنينة رسلان الصغيرة جداً في جبال طرطوس، والتي لا يزيد عدد سكانها مع المزارع التابعة لها عن ١٠ آلاف نسمة.

⁶⁴ لا سيما من أهالي مدينته داريا غرب دمشق، في مراكز إيوائهم في بلدة الحرجلة جنوبها.

⁶⁵ أخذ هذا المجلس اسماً آخر عند تأسيسه عام ٢٠٠٩ برئاسة عمار سعاتي، رئيس اتحاد الطلبة السابق، هو "الهيئة الشبابية للعمل التطوعي"، قبل أن يأخذ اسمه الحالي عام ٢٠١١ برئاسة المستشار في الأمانة إيهاب حامد.

⁶⁶ مثال آخر، احتفظ إلياس جرجي شحود (بعثي-دمشق) بمنصبه رئيساً لكشاف سوريا منذ ٢٠١٠، وبمنصبه الآخر في قيادة اتحاد شبيبة الثورة منذ التاريخ نفسه، لنشاطه الحثيث وحرصه على إشراك الكشاف والشبيبة مع الأمانة في مشاريعها وأنشطتها الخاصة بالفنية والمراهقين، قبل دخوله مجلس الشعب.

⁶⁷ من بين الأعضاء السابقين من دورة ٢٠١٦ والمعروفين يعرفون بعلاقات وثيقة بالقصر، وأعيد انتخابهم في ٢٠٢٠، نجد المخرج السينمائي نجدت أنزور (عن دائرة مدينة حلب)، والناشطة الثقافية الأرمنية نورا أريسيان (عن دائرة دمشق).

⁶⁸ زين العابدين عباس هو وكيل شركة جرارات هندية، وناشط تنموي شبابي من موقعه كمسؤول العلاقات العامة في مجلس الشباب السوري المتصل بالأمانة السورية للتنمية.

وإلى جانب موظفي القصر المهمين كناية وعزام، نجح موظف أقل أهمية وشهرة هو زين خضور، وهو علوي من ريف جبلة، بإلحاق زوجته القاضية الشابة نهى المحايري (دمشق) بقائمة المرشحين الناجحين.

نواب الفرقة الرابعة

بخلاف أسماء الأسد التي تأخر بروزها بين مراكز القوى حول بشار الأسد، كان تأثير الشقيق ماهر قائد الفرقة الرابعة واضحاً في المشهد الانتخابي منذ عام ٢٠٠٣، حين تمكن اثنان على الأقل من المحسوبين عليه من دخول مجلس الشعب عن دائرة مدينة دمشق واحتلال مقعدين ثابتين فيه، وهما رجل الأعمال الصاعد آنذاك محمد حمشو (من دورة ٢٠٠٣ حتى دورة ٢٠١٦)، وعمار ساعاتي (من دورة ٢٠٠٣ حتى دورة ٢٠١٢)، وهو نائب رئيس اتحاد الطلبة ثم رئيسه (حتى تموز ٢٠٢٠) وعضو القيادة المركزية لحزب البعث منذ ٢٠١٣.

وبخلاف ما توصلت إليه بعض التحليلات عن تهميش ماهر الأسد، مستدلة على ذلك بانسحاب محمد حمشو وبعض المرشحين الآخرين المحسوبين على الأسد، تجدد تأثير ماهر الأسد في انتخابات ٢٠٢٠ من خلال ثمانية رجال أعمال على الأقل، معظمهم منخرط في الشبكات الاقتصادية للفرقة الرابعة.⁶⁹ إلى حد كبير، ارتبط التأثير الانتخابي للفرقة الرابعة بخريطة انتشارها حول دمشق وفي أجزاء من محافظتي الرقة ودير الزور. ففي دائرة ريف دمشق، يدين ثلاثة على الأقل من الأعضاء الجدد بمقاعدهم في المجلس للفرقة الرابعة أو لمكتبها الأمني (وهم علي رشق وصبحي عباس وعامر تيسير خيتي، انظر أعلاه).⁷⁰ وكان إرضاء ضباط الفرقة الرابعة أو مكتبها الأمني المسؤول عن جباية الأموال في حواجز الفرقة على الطرق الرئيسية ضرورياً لتسهيل أعمال تهريب النفط للعضوين بشار المخسور (الرقة) ومدلول العزيز (دير الزور)، أو مشتقات النفط للعضو بسيم ناعمة (حمص). يضاف إلى قائمة رجال الأعمال المحسوبين على ماهر الأسد كل من شريف السلوم الهدية (حمص) ونبيل طعمة (دمشق).

في ظل تشابك العلاقات وغموضها وتداخلها مع تأثيرات الدور الإيراني في بعض الحالات، يصعب تقدير حجم تأثير الفرقة الرابعة بمجلس ٢٠٢٠، لكن الأمثلة النيابية أعلاه، تؤكد أن ماهر الأسد – أو فرقته – ما يزال فاعلاً رئيسياً وواحداً من مراكز القوى المؤثرة. وبينما تركز تأثير القصر وسيدته تبعاً لمصالحهما الاجتماعية في العاصمة والساحل، توزع تأثير الفرقة الرابعة تبعاً لمصالحها المالية، المنتشرة في ريف دمشق ووسط وشمال شرق البلاد. يحول اختلاف الاهتمامات وساحات العمل بين أسماء الأسد وماهر الأسد دون تصادمهما، لا سيما أن الأسد الشقيق لا يبدو ميالاً إلى منازعة أخيه في أي أمر، وإن بدا الأخير أحياناً، من خلال المكتب الأمني لفرقته، مستهتراً بالقوانين التي يحرص بشار الأسد على خضوع الجميع لها شكلاً للحفاظ على هيئته كرئيس وهيبة نظامه كدولة.

نواب إيران

بخلاف التأثير الجغرافي للقصر الجمهوري والفرقة الرابعة، تركز التأثير الإيراني في المناطق المحاذية لنهر الفرات، في دائرة مناطق حلب خصوصاً ثم الرقة ودير الزور شمال شرقي البلاد، تبعاً لطيف أوسع

⁶⁹ أيمن دسوقي، "شبكة اقتصاد الفرقة الرابعة خلال الصراع السوري"، تقرير مشروع بحثي (فلورنسا، إيطاليا: مشروع "زمن الحرب وما بعد الصراع في سوريا")، معهد الجامعة الأوروبية، كانون الثاني ٢٠٢٠، <https://bit.ly/2ZnpQDI>.

⁷⁰ وفي ريف دمشق، استعاد عضو مجلس الشعب منذ ٢٠١٦ أسامة محمد مصطفى من دعم الفرقة الرابعة، عن طريق التودد المادي لضباط في وحدات الفرقة المنتشرة في مدينة بلودان، للوصول إلى ضباط أعلى رتبة فيها أتاحوا له مصدر دعم مضاف لدعم ابن عمه أمين فرع ريف دمشق لحزب البعث.

من المصالح والأهداف. ومن ٨ أعضاء تقريباً دعمتهم إيران في دورة ٢٠١٦، يمكن تحديد ١١ عضواً تلقوا الدعم الإيراني على نحو واضح في دورة ٢٠٢٠ (الجدول ٥ في الملحق)، في حين يصعب تأكيد دعم إيراني خاص ومباشر للنواب الذين ينتمون إلى الشيعة الأصليين ويمثلونهم.

في دائرة مناطق حلب، شكّل عشرة من المرشحين المستقلين المحسوبين على إيران قائمة انتخابية سموها قائمة "الوفاء للوطن"، فاز منهم ثمانية (سبعة أعضاء من الدورة السابقة وعضو جديد واحد) كان معظمهم من قادة الميليشيات العشائرية التي تفككت أو انحلت، فقدموا أنفسهم خلال الحملة الانتخابية كشيوخ عشائريين. لعب المحامي مجيب الرحمن الدندن، الذي ازداد نفوذه، دور مدير علاقات عامة محلي لإيران، لا سيما في أوساط ضباط المخابرات ومسؤولي حزب البعث، إلى حد أنهم فيه بأنه الصانع لقائمة نواب البعث عن دائرة مناطق حلب.⁷¹ إضافة إلى النواب المستقلين من قائمة الوفاء للوطن، كان للدعم الإيراني دور رئيسي في تعيين فائق علي محمد، وهي مدرسة لغة عربية، ضمن قائمة البعث في نفس الدائرة (مناطق حلب).⁷²

وامتداداً لهذا التوزيع الجغرافي، يظهر تأثير إيراني في دائرتي دير الزور والرقعة عبر عضوين بعثيين، الأول هو العضو منذ ٢٠١٦ محمد أمين حسين الرجا، المنحدر من أسرة اعتنقت المذهب الشيعي منذ ثمانينات القرن الماضي، ويعتبر أحد أهم رجال إيران المدنيين في دير الزور،⁷³ والثاني هو عضو مجلس الشعب الشاب نضال العلو، الذي ينشط في البيئة الثقافية والسياسية الموالية لإيران بدعم شخصين بارزين مقربين من إيران من أبناء محافظة الرقة، هما عضو القيادة القطرية السابق ثم مدير مؤسسة القدس الدولية المدعومة من إيران خلف المفتاح، والناشط السياسي المتشيع علي الشعيبي.⁷⁴

تكشف اللوحة التمثيلية في انتخابات ٢٠٢٠ بعض الاستراتيجيات التي تعتمدها إيران إزاء المجتمعات الريفية السنية، وهي أولاً الانفتاح على العشيرة من خلال تقدير شيوخها الوراثيين، مع العبث بها في الوقت نفسه بتبني زاعمي المشيخة فيها، وثانياً دعم وتشجيع عدد كبير من الميليشيات وصب الاهتمام الخاص بواحدة منها لتتحول إلى فصيل بعقيدة جهادية شيعية على المدى المتوسط والبعيد، وثالثاً استخدام حزب البعث واستيعاب دوره وتوجهاته وأدوار الأجهزة الأمنية ومراكز القوى الأخرى.

يبدو أن لإيران مقاربة أخرى لشؤون الشيعة الأصليين، تنطلق من اعتبارات نخبوية أعلى وتحترم التراتب الطبقي في كل مجتمع شيعي إن وجد، ولا تحاول عموماً أن يبدو ممثلو الشيعة الأصليين (٦ نواب في مجلس ٢٠٢٠) أدوات إيرانية محضة، بل تدمج تمثيلهم الطائفي بتمثيل آخر عن الجهاز الحزبي للبعث كما في حالة فائزة العذبة (درعا)، معلمة المدرسة والقيادية المحلية السابقة بصفوف الحزب، أو بمكانتهم الاجتماعية كشخصيات عامة كما في حالة النائبتين الشيعيتين عن مدينة دمشق، طبيبة الأسنان عبد الرحمن الجعفري والناشط في رعاية المعوقين هادي مشهدة، أو أخيراً رجال أعمال مثل المقاول ناصر يوسف الناصر عن دائرة حمص.

⁷¹ وفق شكوى قدمها صديق للدندن ضده، بأنه عرض عليه - مقابل دفع مبلغ ٣٠ ألف دولار - تعيين ابنه القاضي البعثي ضمن قائمة الوحدة الوطنية.

⁷² إذ تعرف هذه النائبة التي تنحدر من مدينة جرابلس الواقعة تحت سيطرة المعارضة شمال شرق محافظة حلب، وتقيم نازحة في اللاذقية، بقربها وقرب أشقائها من الإيرانيين، ما سهل عليها احتلال واحد من المقعدين المخصصين للنساء في قائمة نواب البعث عن دائرة مناطق حلب.

⁷³ زياد عواد "إيران في دير الزور.. التمدد وفرص التغلغل"، تقرير مشروع بحثي (فلورنسا، إيطاليا): مشروع "زمن الحرب وما بعد الصراع في سوريا"، معهد الجامعة الأوروبية، تشرين الأول ٢٠١٩، <https://bit.ly/35LFTiP>

⁷⁴ لقاء مع أحد الأصدقاء السابقين للعلو من أبناء مدينة الرقة.

خاتمة

أجريت انتخابات مجلس الشعب ٢٠٢٠ في وقت تراجعت فيه التهديدات العسكرية، لتعكس نتائج سعي النظام إلى تحصين جبهاته الداخلية استعداداً لمواجهة الأزمة الاقتصادية التي تنامت إلى حد غير مسبوق لتصبح أولوية النظام الأهم اليوم. استنفر النظام حزب البعث محاولاً إحياءه كأداة مؤثرة، ووسع شراكته مع أثرياء الحرب، وجدد عنايته بحواضنه الاجتماعية وسط الأقليات دون أن يتخلى عن نخبها الاجتماعية، في حين واصل التبدل في شبكات وكلائه وأتباعه البارزين وسط الأكثرية السنية. ومن خلال التغييرات الأخيرة في دائرة الحكم العليا، حاول رأس النظام بشار الأسد تركيز ما يستطيع من موارد القوة بين يديه، دون أن ينقص ذلك من تأثيرات التدخل الأجنبي المحدودة في هذه الانتخابات، والتي تبقى شأناً سورياً مرة أخرى.

لا يزال النظام قوياً ضمن فضائه الداخلي، وقادراً كما يبدو على إعادة إنتاج تحالفاته وفق أولوياته الخاصة، كما يدل صعود المكون العسكري ونشطاء الأعمال الخيرية ورجال الأعمال، أو كما يدل إقصاء أنصار رامي مخلوف وممثلي التيار الديني السني دون مقاومة تذكر. ولكن انتخابات ٢٠٢٠ تكشف أيضاً عن طبيعة التحديات الكبيرة التي يواجهها النظام، الذي يبدو أضعف في زمن اللاحرب منه في زمن الحرب. هذه القدرة على إعادة إنتاج تحالفات لم تُحل دون حدوث انكماش كبير في القاعدة الاجتماعية للنظام، مع تمركزها تقريباً حول الشبكات الأمنية-الاقتصادية.

على الصعيد "السياسي"، لم تكن لدى النظام إلا الأدوات القديمة المتجسدة في حزب البعث، الذي فشل بإحيائه كحزب سياسي قادر بقواه الذاتية على التأثير. فقد أخفقت قيادة حزب البعث في الحشد بقوة داخل صفوف الحزب نفسه، كما أظهرت الانتخابات التمهيدية داخل الحزب، الذي تجددت كتلته النيابية بالمزيد من الضباط المتقاعدين ورجال الأعمال والناشطين في الحقل الخيري والتنموي، ليمثل هؤلاء مراكز القوى التي يرتبطون بها أكثر مما يمثلون حزب البعث. ولم تضيف محاولات التجديد إلا مزيداً من اضطراب الهوية وضعف التجانس وتناقض المصالح، ليبقى الحزب في المحصلة أضعف من أن يحمي رئيسه، بل ويستمد دوره كله من هذا الرئيس وجيشه ومخابراته.

وعلى الصعيد الاقتصادي، قد لا تكون مساهمة الـ٤٣ رجل أعمال – معظمهم من أثرياء الحرب – ذات أهمية في محاولات النظام الإفلات من تأثير العقوبات الدولية، ووقف تدهور العملة الوطنية، على الرغم من أن الشراكة التي أصبحت عضوية بين أثرياء الحرب والنظام قد تساعده على التماسك في المدى القريب، مقابل عجز المؤسسات الحكومية عن تقديم الخدمات الأساسية للسكان، وعلى حساب الثروة الوطنية أو ما تبقى منها، وبتبدد فرص الإنتاج بسبب تلك الشراكة العضوية وتناقض المصالح. وأخيراً، تقلص عدد الأعضاء المنحدرين من النخب التقليدية الموالية من الأكثرية السنية التي حملت الجسم الرئيسي للمعارضة، واستُبدل بهؤلاء الأعضاء قادة ميليشيات وضباط متقاعدين من الجيش والشرطة ورجال أعمال من أثرياء الحرب، في حين أبدى النظام اهتماماً أعلى بنخب الأقليات وسعى إلى إرضاء قواعده فيها. في المدى القريب، سيحافظ النظام على قدرته في إخضاع المجتمعات، التي تمضي بدورها إلى مزيد من الاستسلام القدري مهما ألحقت بها الأزمة الاقتصادية من أضرار، كما سيحافظ على قدرته على التمسك بما بقي من أشلاء دولة "سوريا الأسد" الممزقة والمحطمة. ولكن، سيشكل انكماش القاعدة الاجتماعية للنظام تهديداً لبقائه على المدى الطويل. لا يمكن للنظام أن يتحاشى هذا التهديد إلا باعتماد نمط حكم أشد قمعاً وعسكرة.

الملاحق 75

الجدول ١ : قادة الميليشيات البعثيين في مجلس الشعب (٢٠٢٠)

الاسم	الدائرة الانتخابية	الانتماء الطائفي	العضوية السابقة في المجلس	الميليشيا والمنصب العسكري	المنصب والنشاط السياسي
باسم سودان	اللاذقية	علوي	دورة ٢٠١٦	قائد كتائب البعث في سوريا منذ ٢٠١٣	عضو لجنة مركزية بحزب البعث منذ نيسان ٢٠١٧
فاضل وردة	حماة	اسماعيلي	دورة ٢٠١٦	قائد الدفاع الوطني في منطقة السلمية منذ العام ٢٠١٣	عضو لجنة مركزية بحزب البعث منذ نيسان ٢٠١٧
ماهر قاورما	حماة	مسيحي	دورتي ٢٠١٦ و ٢٠١٢	قائد قوات الدفاع المحلي في منطقة محردة	عضو سابق بقيادة شعبة محردة في فرع حماة لحزب البعث
يوسف حسن سلامة	حمص	علوي	أول مرة	مشرف لواء البعث في الفيلق الخامس، قائد مركز كتائب البعث في دمشق	عضو قيادة شعبة سابق
عصام نبهان سباهي	حماة	سني	أول مرة	نائب قائد لواء البعث في سوريا، قائد كتائب البعث في حماة	عضو قيادة شعبة الريف بفرع حماة لحزب البعث بين آب ٢٠١٩ و آذار ٢٠٢٠
عبد العزيز محمد الحسين	دير الزور	سني	أول مرة	قائد مجموعات الحسين العشائرية الصغيرة (بين ٢٠١٧ و ٢٠١٩)	عضو قيادة شعبة الميادين بفرع دير الزور لحزب البعث منذ آذار ٢٠٢٠
محمود أحمد الرئيس	دير الزور	سني	أول مرة	قائد رمزي لميليشيا عشائرية صغيرة	عضو قيادة فرقة حزبية بقرية الشميطية بريف دير الزور
أحمد أسود زيدان	مناطق حلب	سني	٢٠١٩ استثناءً لملاء مقعد شاغر	قائد ميليشيا عشائرية	

75 تعتمد الجداول في الملاحق على مصادر متنوعة: البيانات التي نشرها النواب الفائزون عن أنفسهم، ووسائل الإعلام الرسمي، والصفحات الشخصية والعامة وذات الصلة في فيسبوك للنواب الفائزين وللبعض المرشحين المنافسين، وأخيراً لقاءات تم معظمها عبر الانترنت مع ٩٠ شخصاً يتمتعون بصلات مباشرة أو غير مباشرة مع المرشحين الفائزين.

الجدول ٢: الضباط المتقاعدون من الجيش والشرطة في مجلس الشعب (٢٠٢٠) 76

الاسم	الدائرة الانتخابية	الانتماء الطائفي	العضوية السابقة في المجلس	الوظيفة أو المنصب العسكري قبل التقاعد	ملاحظات
ماري شحادة البيطار	دمشق	مسيحية	٢٠١٦	ضابطة إدارية في إدارة التعبئة، وقبل ذلك مدرّسة في الكلية العسكرية للبنات	تنحدر البيطار من منطقة القصير بريف حمص
باسمة صالح الشاطر	دمشق	سنية	أول مرة	رئيسة دائرة الخدمات الطبية بوزارة الداخلية	تنحدر الشاطر من مدينة حرستا بريف دمشق
أحمد جميل إبراهيم	ريف دمشق	سني	أول مرة	قائد الفيلق الثالث حتى ٢٠١٣ ثم رئيس اللجنة الأمنية العسكرية في حمص في ٢٠١٤	متهم بارتكاب جرائم حرب في مدينة حمص، ينحدر من قرية المراح بمنطقة القلمون بريف دمشق
مصطفى صالح المعروف	حمص	علوي	أول مرة	ضابط شرطة متقاعد برتبة عقيد	شقيق العميد محمد معروف رئيس فرع المخابرات العامة (أمن الدولة) في حماة، ينحدر من منطقة الشعيرات بريف حمص
مصطفى سكري المصطفى	حماة	سني	أول مرة	معاون وزير الداخلية وقبل ذلك قائد شرطة محافظة دمشق	بعد تقاعده عين أميناً لفرع حماة لحزب البعث بين العامين ٢٠١٥ و٢٠١٧، ينحدر من قرية معر شحور بريف حماة
فايز غثوان الأحمد	حماة	سني	أول مرة	قائد الفرقة الخامسة	يتوسط لإعادة النازحين من أبناء قريته القسطل بمنطقة عقيربات بريف حماة
عبد الرزاق صالح بركات	مناطق حلب	سني	٢٠١٥ استثناءً لملء مقعد شاغر، ثم دورة ٢٠١٦	مدير الإدارة الذاتية في وزارة الداخلية في العام ٢٠١٣ وقبلها قائد شرطة محافظة حمص	ينحدر من أصل تركماني من قرية تركمان بارح بريف حلب الشمالي
عبد اللطيف عبود البكار	مناطق حلب	سني	أول مرة	ضابط قيادي بفرع المنطقة الجنوبية بجهاز المخابرات الجوية	ينحدر من قرية الخفسة بريف حلب

76 جميع ضباط الجيش والشرطة هم أعضاء بحزب البعث.

خالد صبحي حربا	ادلب	سني	أول مرة	مهندس عسكري	يتوسط للبحث والإفراج عن معتقلين في سجون النظام
ثائر جودت حسن	اللاذقية	علوي	أول مرة	ضابط ميداني قبل تسريحه بسبب الإصابة خلال المعارك	ينشط في شؤون جرحى الحرب وعضو اللجنة الرياضية لجرحى الحرب
أحمد علي حسن	طرطوس	علوي	أول مرة	رئيس فرع في إدارة الإشارة بالجيش	ينحدر من قرية برمانه المشايخ بريف طرطوس
شيخ جابر الخرفان	دير الزور	سني	أول مرة	رئيس إدارة التعبئة بالجيش، ورئيس المحكمة الميدانية الأولى	أصدر أحكام إعدام بحق معتقلين في سجن صيدنايا، ينحدر من عشيرة البوسرايا في قرية المسرب ومن عائلة انتسب الكثير من شبانها إلى ميليشيا الدفاع الوطني في دير الزور، أسس أبناؤه شركة لبيع وتأجير السيارات
عيطان حسن العيطان	دير الزور	سني	٢٠١٧ استثناء لملاءم شاعر	قائد شرطة القنيطرة	ينحدر من عشيرة الزباري الصغيرة بريف دير الزور الشرقي
مفلح نصر الله النصر الل	درعا	مسيحي	أول مرة	غير معروف	يلقي محاضرات ثقافية عسكرية تمجد دور الجيش في المراكز الثقافية بمحافظة درعا
عبد الناصر أحمد الحريري	درعا	سني	أول مرة	رئيس رحبة ازرع لصيانة المركبات العسكرية	ينحدر من قرية مليحة العطش بريف درعا
نسيب أجود أبو محمود	السويداء	درزي	أول مرة	رئيس هيئة التفيتيش في الجيش حتى العام ٢٠١٦، وقبل ذلك قائد الفرقة ١١ دبابات بين ٢٠١١-٢٠١٢	ينحدر من قرية الدور بريف السويداء

الجدول ٣: رجال الأعمال في مجلس الشعب (٢٠٢٠) 77

الاسم	الدائرة الانتخابية	الانتماء السياسي	الانتماء الطائفي	العضوية السابقة في المجلس	مجالات العمل والنشاطات العامة	المنبت الطبقي والمهنة الأصلية قبل العام ٢٠١١
سامر الدبیس	دمشق	مستقل	سني	دورات ٢٠٠٧ و ٢٠١٢ و ٢٠١٦	متعدد الأعمال في مجالات مختلفة، صناعية بالأصل منذ تسعينات القرن الماضي في مجال الورق المقوى (الكرتون) وفي مجال التغليف ثم مجال الصناعات الغذائية، ثم في العام ٢٠١٩ في مجال المطاعم والمراكز التجارية من خلال مشاركته بتأسيس شركة مولتا المحدودة المسؤولة، رئيس غرفة صناعة دمشق وريفها منذ العام ٢٠١٤، عضو مجلس الأعمال السوري الصيني، شريك مؤسس في شركة شام القابضة	صناعي؛ من عائلة صناعية رأسمالية عريقة
وائل ملحم	حمص	مستقل	علوي	دورات ٢٠٠٧ و ٢٠١٢ و ٢٠١٦	مقاول في أعمال إنشاء، مدير وشريك مؤسس لشركة المدينة للمجبول البيتوني في محافظة حمص، بدأ حياته المهنية متطوعاً كصف ضابط في الشرطة إلى حين تقاعده بعد العام ٢٠٠٥، ليدخل مجلس الشعب كمستقل منذ ٢٠٠٧	شرطي تقاعد بعد ٢٠٠٥ وبدأ يعمل بالمقاولات؛ من عائلة فلاحين
فراس السلوم الهدبة	حمص	مستقل	علوي	دورات ٢٠٠٧ و ٢٠١٦ و ٢٠١٢	تاجر ومالك لشركة الهدبة لمطاحن الحبوب في محافظة طرطوس، مقرب من المكتب الأمني للفرقة الرابعة الذي توسعت أعماله برعايته منذ ٢٠١٢. عضو مجلس إدارة غرفة تجارة حمص منذ ٢٠١٥ وفاز مجدداً في أيلول ٢٠٢٠ بانتخابات عضوية مجلس إدارة الغرفة	تاجر أعلاف ودواجن؛ من عائلة فلاحين وصغار ملاكين
بديع برهان دروبي	حمص	مستقل	سني	دورتي ٢٠١٢ و ٢٠١٦	التأمين وأعمال البناء والصناعات الغذائية، رئيس مجلس إدارة شركة العقيلة للتأمين التكافلي وشركة البناءون المتحدون، ونائب رئيس مجلس إدارة شركة الأهلية للزيت، من رجال الأعمال المدعومين من إيران	رجل أعمال في مجال التأمين وقبل ذلك طبيب أسنان؛ من عائلة ملاكين إقطاعية
أيمن ملندي	حمص	بعثي	سني	دورتي ٢٠١٢ و ٢٠١٦	مقاول وتاجر، رئيس غرفة تجارة حماة منذ ٢٠١٨، نقيب مقاولي الإنشاءات في سوريا منذ شباط ٢٠٢٠، رئيس سابق ولعدة مرات لنادي الطليعة الرياضي	مقاول وتاجر من عائلة تجار

77 تم الفرز حسب تاريخ الدخول في مجلس الشعب وحسب مجال العمل الرئيسي (بالألوان: أزرق لتجار الغذائية وأعمال المطاعم، أخضر للمقاولين وتجار العقارات، أصفر للوسطاء الماليين، أحمر للمهنيين وقادة ميليشيا السابقين، وأسود للتجار في قطاعات متنوعة).

مقاول وقيل ذلك طبيب؛ من عائلة فلاحين	مقاول وشريك مؤسس بشركة الغلال الوافرة لصب البيتون	دورتي ٢٠١٢ و٢٠١٦	علوي	بعثي	اللاذقية	أيهم جريكوس
مهندس وموظف حكومي، بدأ ظهوره الرسمي كرجل أعمال في العام ٢٠١٥؛ من عائلة برجوازية	تجارة عامة وسياحة وصناعة، مدير عام وشريك مؤسس لشركات روشانا وسورانا وليا	دورة ٢٠١٦	سني	مستقل	دمشق	همام مسوتي
منتج تلفزيوني؛ من عائلة موظفين وحرفيين	الإنتاج التلفزيوني والإعلام والنشر، يملك شركة الشرق للإنتاج التلفزيوني، ومجلة الأزمة، ودار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع	دورة ٢٠١٦	سني	بعثي	دمشق	نبيل طعمة
مقاول	مقاول بناء وأعمال إنشائية، عضو مجلس إدارة غرفة تجارة ريف دمشق منذ تشرين الأول ٢٠٢٠، رئيس سابق لهذه الغرفة بين ٢٠١٥ و٢٠١٨، خازن سابق في مجلس إدارة ومكتب اتحاد غرف التجارة السورية حتى ٢٠١٨، عضو مجلس الأمناء في دار الأسد للثقافة والفنون، أمين سر مجلس الأعمال السوري الصيني، يشغل منصب عضو مجلس إدارة كل من مدينة عدرا الصناعية والغرفة التجارية العربية البلجيكية	دورة ٢٠١٦	سني	بعثي	ريف دمشق	أسامة مصطفى
رخص سمسار واستثناءات من الوزارات وإدارات المؤسسات الحكومية في دمشق، وقيل ذلك خياط؛ من عائلة حرفيين	تهريب وتجارة النفط الخام والحبوب، ثم مقاولات البناء والخردة، رئيس مجلس إدارة مجموعة القاطرجي الدولية التي تضم عدة شركات مثل شركة أرفادا البترولية التي تأسست في ٢٠١٨، وشركة قاطرجي للتطوير العقاري التي تأسست في ٢٠١٧، كما يعمل في صهر الخردة عبر شركة فولاذ لتي تأسست في ٢٠١٩	دورة ٢٠١٦	سني	مستقل	حلب	حسام قاطرجي
تاجر حبوب ثم قائد ميليشيا فوج العساسنة بين ٢٠١٢ و٢٠١٦؛ من عائلة فلاحين وتجار ريفيين	تجارة عامة وشحن، يملك شركة شهيد إخوان للتوريدات والنقل	دورة ٢٠١٦	سني	مستقل	مناطق حلب	حسن شهيد
غير معروف	تاجر	دورة ٢٠١٦	سني	بعثي	مناطق حلب	آلان بكر
تاجر	تاجر ومستثمر عقارات، يمتلك برج الريم في مدينة السويداء ويمتلك سوبر ماركت في	دورة ٢٠١٦	درزي	مستقل	السويداء	نعيم معدي نصر

	المدينة، عضو مجلس إدارة جمعية سواعدا الخيرية					
مالك محطة وقود في قريته تل جديد؛ من عائلة فلاحين	تهريب مشتقات نפט إلى المناطق الخارجة عن سيطرة النظام حتى العام ٢٠١٧ برعاية المكتب الامني للفرقة الرابعة وباستغلال موقع قريته تل جديد في البادية شرق حماة	٢٠١٨ استثناء لملاء مقعد شاغر	علوي	بعثي	حماة	بسيم يوسف ناعمة
صناعي؛ من عائلة صناع وحرفيين	صناعة الألبان، مدير مؤسس لشركة المراعي للصناعات الغذائية، استثمارات فندقية ومنها فندق التابع لمطار دمشق الدولي، والذي وضعه في آذار ٢٠٢٠ تحت تصرف وزارة الصحة كي تجعله مركزاً لحجر المشتهه بإصابتهم بالكورونا، خازن اتحاد غرف الصناعة السورية، وأمين سر غرفة صناعة دمشق وريفها بين العامين ٢٠١٩ و٢٠٢٠	أول مرة	سني	مستقل	دمشق	محمد غزوان المصري
صانع وبائع عصير؛ من عائلة حرفيين وصناع	صانع عصير الفواكه في محل والده قرب ساحة عرنوس وسط مدينة دمشق، وسع أعماله بافتتاح محلات عصير أخرى، وأسس شركة ابلت التجارية في كانون الثاني ٢٠٢٠، عضو مجلس محافظة دمشق، وعضو الهيئة العامة لشركة دمشق الشام القابضة، ومشارك في الحملة العامة لمكافحة جائحة كورونا	أول مرة	سني	مستقل	دمشق	عبد الرحمن جمال الدين المصري
تاجر خضار؛ من عائلة تاجر ومزارعين كبيرة في مدينة دوما بريف دمشق.	متعدد الأعمال: شركات تجارية وإنشائية ومالية متنوعة، منها شركة خيتي المساهمة المغفلة، شركة أرض الخيرات، شركة العامر لصناعة المجبول البييتوني، شركة الليث لخدمات النقل والشحن، شركة الصقر للحوالات المالية؛ عضو مجلس إدارة غرفة تجارة ريف دمشق منذ تشرين الأول ٢٠٢٠؛ تعرض لأزمة مالية في ٢٠١٣، سافر على إثرها إلى لبنان وانخرط - حسبما يتردد بين معارفه من أبناء مدينة دوما بغوطة دمشق - في شبكات تهريب مخدرات تابعة لحزب الله، قبل أن يعود ويستأنف أعماله برعاية المكتب الأمني للفرقة الرابعة ويوسعها إلى مجالات مختلفة	أول مرة	سني	مستقل	ريف دمشق	عامر تيسير خيتي
موزع بيض ثم تاجر، عائلة عمال وموظفين، نازحة من الجولان المحتل	تجارة مواد غذائية، موزع وتاجر بيض يقيم في حي جديدة الفضل بريف دمشق، تعرض لبعض الأضرار المالية بسبب المعارك التي مرت بهذا الحي في العام ٢٠١٢، لكنه استطاع النهوض بتجارته مجدداً بدءاً من العام ٢٠١٣،	أول مرة	سني	مستقل	القنيطرة	خالد الشرعبي

	مستفيداً من هدوء مدينة دمشق حيث يقيم ويعمل زبائنه من التجار وموزعي الأغذية الأصغر					
حسن كوسا	اللاذقية	بعثي	علوي	أول مرة	مالك ومستثمر سلسلة مطاعم ومنتشآت سياحية، رئيس غرفة سياحة اللاذقية منذ ٢٠١٨	مالك مطعم؛ من عائلة فلاحين وموظفين
عبد الكافي عقدة	حماة	مستقل	سني	أول مرة	يمتلك سلسلة مطاعم مشهورة قدمت وجبات غذائية مجاناً لنزلاء مراكز الحجر الطبي المشتهر بإصابتهم بفيروس كورونا، رئيس جمعية المقاهي والمطاعم في حماة	من عائلة حرفيين وصناع
أسعد ممدوح حلوم سلورة	حماة	مستقل	سني	أول مرة	مستثمر نادي ومطعم المهندسين الفخم في مدينة حماة، ومالك شركة الأسعد للحوالات المالية	من عائلة حرفيين وصناع
منذر ابراهيم	حمص	بعثي	علوي	أول مرة	تجارة العقارات ومقاولات البناء، تركزت تجارته بمنازل النازحين من الأحياء المنتفضة ضد النظام في مدينة حمص	تجارة العقارات وقبل ذلك طبيب؛ من عائلة موظفين
راسم المصري	اللاذقية	مستقل	علوي	أول مرة	مقاول بناء وتاجر عقارات، ركز أعماله في القرى القريبة من مدينة اللاذقية، لا سيما بين قريتي بسنادا وسقويين شمال المدينة	مقاول وقبل ذلك سمسار ومعقب معاملات في المؤسسات الحكومية بمدينة اللاذقية؛ من عائلة فلاحين
بلال نعال	دمشق	مستقل	سني	أول مرة	متعدد الأعمال، تجارة التجزئة والمقاولات والعقارات والصرافة والسياحة والمطاعم، مالك وشريك بعدة شركات منها شركة النعال التجارية، وشركة آر بي التجارية للاستثمار وتشغيل وإدارة المراكز التجارية، شركة ماكس o للكيماويات، مالك سلسلة مطاعم big five ومطاعم "جدو أبو عماد"، وترأس شركة فالكون فالكون الأمنية قبل إلغاء ترخيصها في أيار ٢٠٢٠	بدأ حياته المهنية بائعاً في محل تجاري صغير تملكه أسرته، قبل أن يوسع أعماله، مستغلاً من عضويته بمجلس محافظة دمشق حتى العام ٢٠١١، وبدعم من بشر الصبان محافظ دمشق بين ٢٠٠٦ و٢٠١٦؛ من عائلة حرفيين وتجار صغار
ناصر يوسف الناصر	حمص	مستقل	شيعي	أول مرة	مقاول	مقاول؛ من عائلة موظفين
نصر محمود حسن	طرطوس	بعثي	علوي	أول مرة	مقاول وتاجر تجهيزات طبية	مهندس وموظف حكومي؛ من عائلة فلاحين

من عائلة تجار	تاجر ومقاول، إكساء الأبنية والديكور	أول مرة	سني	حزب الاتحاد العربي الديمقراطي	حماة	سارية أحمد القاسم
عامل في السعودية حتى العام ٢٠١٥؛ من عائلة فلاحين	وكيل محلي لأعمال القاطرجي في تهريب وتجارة النفط الخام في الجزء الخاضع لسيطرة النظام شرق الرقة	أول مرة	سني	مستقل	الرقة	بشار المخسور
عامل في الخليج؛ من عائلة فلاحين	مهرب وتاجر نفط أسس شركة شام العزيز التجارية في العام ٢٠١٩، عمل قبل ذلك وكيلاً للقاطرجي في تهريب وتجارة النفط الخام خلال سيطرة تنظيم داعش بين العامين ٢٠١٤ و٢٠١٧، عضو مجلس إدارة نادي الفتوة الرياضي منذ ٢٠١٩	أول مرة	سني	مستقل	دير الزور	مدلول عمر العزيز
من عائلة مهربين وفلاحين	تاجر ومهرب مشتقات نفطية إلى لبنان برعاية المكتب الأمني للفرقة الرابعة قام باستغلال موقع قريته فليطة - بمنطقة القلمون بريف دمشق - القريبة من الحدود اللبنانية، كما يعمل بإدارة محطة وقود تملكها أسرته	أول مرة	سني	بعثي	ريف دمشق	علي رشق
بدأ عباس حياته المهنية في محطة وقود تملكها أسرته في منطقة جبلة بريف اللاذقية؛ من عائلة فلاحين	مالك سلسلة من محطات الوقود في محافظات دمشق وريف دمشق واللاذقية، رئيس مجلس إدارة وشريك مؤسس لشركة خبراء الطاقة ٢٠١٩ ولشركة المدى للمقاولات والتجارة، التي تأسست في النصف الثاني من العام ٢٠١٢؛ تضخمت أعماله بعد انضمامه في العام ٢٠١٤ إلى شبكة تجار ومهربي النفط التابعة للمكتب الأمني للفرقة الرابعة	أول مرة	علوي	مستقل	ريف دمشق	صباحي أحمد عباس
غير معروف	مستثمر رئيسي لمعمل تعبئة أسطوانات الغاز المنزلي في قرية عين العصافير قرب مدينة حلب، ومستثمر مطعم ونادي الحمدانية في مدينة حلب	أول مرة	سني	مستقل	مناطق حلب	محمد صباحي شيخ الضبعة
طبيب مخبري في عيادته وفي مديرية صحة اللاذقية؛ من عائلة موظفين	أعمال مالية، وتجارة أثاث منزلي أجهزة خليوية، عضو مجلس إدارة بنك سوريا الدولي الإسلامي في ٢٠١٦ ثم عضو مجلس إدارة سوق دمشق للأوراق المالي في ٢٠١٨، ينشط في جمعية الفوز الخيرية التابعة لرجل الأعمال سامر فوز.	أول مرة	مسيحي	مستقل	اللاذقية	نبيل إلياس
طالب؛ من عائلة فلاحين ذات أصول ريفية	تحويل الأموال، وكيل لشركة الفؤاد للحوالات المالية في محافظة حمص (بشراكة غير معلنة مع صقر رستم قائد الدفاع الوطني في سوريا)،	أول مرة	علوي	بعثي	حمص	عهد ضاهر السكري

	شريك مؤسس في "الأكاديمية السورية الدولية" وشريك في مركز BellaRoma Beauty Clinic وهي معهد بناء قدرات وتطوير واكتساب مهارات، عضو مجلس أمناء مؤسسة الشهيد منذ ٢٠١٣ ومدير تنفيذي للمؤسسة في حمص بين العامين ٢٠١٣-٢٠١٥					
عبدان عبد الوهاب الحمد	مناطق حلب	مستقل	سني	أول مرة	تحويل الأموال وتجارة السيارات، وكيل شركة الهرم للحوالات المالية في مدينة منبج وتاجر سيارات، يقدم خدمات مالية لشبكات تهريب المخدرات السورية-اللبنانية المقربة من حزب الله من خلال مكتبه في منبج	تاجر مواشي؛ من عائلة فلاحين
محمد زهير سعيد تيناوي	دمشق	بعثي	سني	أول مرة	المحاسبة المالية والتأمين، رجل أعمال في مجال المحاسبة والتدقيق المالي من خلال مكتبه الخاص وفي مجال التأمين من خلال شركة المتحدة للتأمين التي تولى سابقاً منصب نائب رئيس مجلس إدارتها، عمل سابقاً كمدقق حسابات مع بنك سوريا والخليج، وإلى جانب عمله يترأس تيناوي نقابة المهن المالية والمحاسبية منذ تأسيسها في العام ٢٠١٤	محاسب وموظف حكومي؛ من عائلة حرفيين
محمود نظيف أبو بكر	حلب	مستقل	سني	أول مرة	تاجر قماش ووسيط نقل أموال	بدأ حياته المهنية مساعداً لأبيه في متجر أقمشة تملكه العائلة؛ من عائلة تجار
عامر فارس حموي	حلب	مستقل	سني	أول مرة	تاجر وصانع مفروشات ووسيط نقل أموال، عضو مجلس إدارة غرفة تجارة حلب منذ أيلول ٢٠٢٠	صناعة المفروشات؛ من عائلة تجار
عبدو جان موصلني	حلب	بعثي	مسيحي	أول مرة	تاجر وصانع ذهب، رئيس الجمعية الحرفية للصاغة والمجوهرات في محافظة حلب	صانع ذهب؛ من عائلة تعمل في صياغة وتجارة الذهب والمجوهرات
زين العابدين عباس	اللاذقية	مستقل	علوي	أول مرة	وكيل تجاري لشركة جرارات هندية في سوريا، مسؤول العلاقات العامة في مجلس الشباب السوري وهو المجلس الذي تأسس برعاية الأمانة السورية للتنمية المؤسسة التي تترأسها أسماء الأسد	طالب؛ من عائلة موظفين ذات أصول ريفية، ابن السفير السوري في الهند رياض عباس، وصهر وزير شؤون رئاسة الجمهورية منصور عزام
مأمون أحمد السيد	إدلب	بعثي	سني	أول مرة	تجارة عامة بالشراكة مع أشقائه، عضو مكتب تنفيذي بمجلس مدينة إدلب منذ ٢٠١٨، عضو مجلس إدارة نادي أمية الرياضي	بدأ بإدارة مدرسة خاصة لتعليم قيادة السيارات يملكها شقيقه المقيم في

دولة قطر؛ من عائلة موظفين وحر فيين						
تاجر حبوب، غير أنه يعتمد على ثروة أبنائه الذين يملكون مجموعة الجميل التجارية الضخمة في مجال الغذائية في السعودية والإمارات	أول مرة	سني	مستقل	إدلب	أحمد جميل عقرين	
لم يكن له عمل واضح؛ من عائلة فلاحين وموظفين	أول مرة	سني	مستقل	إدلب	فؤاد علداني	

الجدول ٤: النواب القادمون من حقل العمل الخيري والتنموي

الاسم	الدائرة الانتخابية	الانتماء السياسي	الانتماء الطائفي	العضوية السابقة في المجلس	المهنة والنشاط الخيري والتنموي
ريمون صبرة هلال	ريف دمشق	بعثي	مسيحي	دورة ٢٠١٦	طبيب أسنان وتاجر مواد ومستلزمات طبية، رئيس مجلس إدارة جمعية خطوة لتركيب الأطراف الصناعية التي تعنى بجرحى الحرب من جنود وعناصر قوات النظام
عبد الرحمن الخطيب	ريف دمشق	بعثي	سني	أول مرة	رئيس بلدية بلدة الحرجلة جنوب دمشق، مدير ومشرف على المركز الرئيسي لإيواء النازحين بريف دمشق الذي أنشئ في بلدته الحرجلة، مدير في برنامج مشروع من عام ٢٠١٤ للقروض المتناهية في الصغر الذي أطلقته الأمانة السورية للتنمية
سهيل سلامة خضر	طرطوس	مستقل	علوي	أول مرة	طبيب، رئيس فرع منظمة الهلال الأحمر السابق في محافظة طرطوس بين ٢٠١٣ و٢٠١٩ ثم رئيس فرع مؤسسة العرين التي أسسها بشار الأسد وزوجته أسماء، وبدأت أول أعمالها في تموز ٢٠٢٠ لترث مؤسسة البستان التي أسسها ابن خاله رامي مخلوف
محمد عبد الحليم جري	طرطوس	بعثي	علوي	أول مرة	طبيب، مؤسس جمعية سوا الخيرية في بلدته كرتو ثم عضو المكتب التنفيذي بمجلس المحافظة، مسؤول عن قطاع الإغاثة والشؤون الاجتماعية
رانيا محسن حسن	طرطوس	بعثية	علوي	أول مرة	مدرسة بكلية الاقتصاد جامعة طرطوس، عضوة مجلس محافظة، ناشطة بارزة بمبادرات تطوعية لرعاية الجرحى وعائلات القتلى بجيش النظام، وفي برامج مشاريع الأعمال الصغيرة التي يمولها برنامج الأمم المتحدة الإنمائي
حيدر نصر عبود	حمص	بعثي	مرشدي	أول مرة	طبيب أسنان، فتح عيادته لعلاج جرحى الحرب وعائلات القتلى بالمجان أو بأجور مخفضة، وبعد انخراطه النشط في كل من جمعية

"صامدون رغم الجراح" وحملة "صرخة جريح" وأخوية "الأيدي تتكلم" التابعة للكنيسة الأرثوذكسية					
عهد ضاهر السكري	حمص	بعثي	علوي	أول مرة	رجل أعمال، عضو مجلس أمناء مؤسسة الشهيد الذراع الخيرية لميليشيا الدفاع الوطني
مغيث ابراهيم	حمص	بعثي	علوي	أول مرة	عضو مجلس محافظة حمص ورئيس لجنة دعم الشهداء في شعبة المدينة الثالثة بفرع حمص لحزب البعث
رافت البكار	القيطيرة	مستقل	سني	أول مرة	رئيس فرع جمعية نور للإغاثة والتنمية في القنيطرة منذ ٢٠١٨

الجدول ٥: نواب مدعومون من إيران (٢٠٢٠)

الاسم	الدائرة الانتخابية	الانتماء السياسي	الانتماء الطائفي	العضوية السابقة في المجلس	المهنة والنشاط العام	ملاحظات
فاتن محمد	مناطق حلب	بعثية	سنية المولد، لم يتأكد اعتناقها المذهب الشيعي	أول مرة	معلمة مدرسة	من مدينة جرابلس الواقعة تحت سيطرة المعارضة بريف حلب، تقيم نازحة مع أشقائها في اللاذقية
عمر الحسن	مناطق حلب	مستقل- قائمة الوفاء للوطن	متشيع	دورة ٢٠١٦	القائد الفخري لميليشيا لواء الباقر التابعة للحرس الثوري الايراني	ينحدر من قبيلة البقارة في أطراف مدينة حلب والقرى القريبة منها، مع الإشارة إلى أن التمرکز الرئيسي للقبيلة يقع في محافظة دير الزور
أحمد علي الحمرة	مناطق حلب	مستقل- قائمة الوفاء للوطن	سني	دورة ٢٠١٦	قائد سابق لميليشيا عشائرية	ينحدر من عشيرة العساسنة المنتشرة في الأحياء الشرقية بمدينة حلب وبعض القرى القريبة من المدينة
عبيد شريف العيسى	مناطق حلب	قائمة الوفاء للوطن	سني	دورة ٢٠١٦	قائد سابق لميليشيا عشائرية، يقدم نفسه كوجيه اجتماعي	ينحدر من فرع اليومسرة من قبيلة البوشعبان في الريف الجنوبي الشرقي لمحافظة حلب، علماً أن التمرکز الرئيسي للقبيلة يقع في محافظة الرقة
حسين الحاج قاسم	مناطق حلب	قائمة الوفاء للوطن	سني	دورة ٢٠١٦	قائد سابق لميليشيا عشائرية	ينحدر من فرع القحيفات من قبيلة البوشعبان في بلدة السفيرة جنوب شرق حلب

مجيب الرحمن الدندن	مناطق حلب	قائمة الوفاء للوطن	سني	دورة ٢٠١٢ و ٢٠١٦	محامي، متعدد النشاطات كوجيه واسع النفوذ، ساهم مع أفراد عائلته بتأسيس ميليشيا عشائرية كان اسمها الأخير فوج رعد المهدي التابعة لقوات الدفاع المحلي المدعومة من إيران	من عشائر البوبني بمنطقة منبج، أتهم بأنه سمسار مأجور لمسؤولين نافذين بحزب البعث خلال تشكيل قائمة مرشحي الحزب عن دائرته
فارس جنيدان	مناطق حلب	قائمة الوفاء للوطن	سني	دورتي ٢٠١٢ و ٢٠١٦	ملاك وراثي، مشارك نشط كوجيه في المؤتمرات واللقاءات العشائرية الموالية للنظام	ينحدر من عشيرة عجيل بمنطقة اعزاز شمال حلب
محمد خير الماشي	مناطق حلب	قائمة الوفاء للوطن	سني	دورة ٢٠١٢	ملاك وراثي، مشارك نشط كوجيه في المؤتمرات واللقاءات العشائرية الموالية للنظام	شيخ عشائر البوبني بمنطقة منبج
عدنان عبد الوهاب الحمد	مناطق حلب	قائمة الوفاء للوطن	سني	أول مرة	وسيط تحويل أموال وتاجر سيارات، يتهم بتقديم خدمات مالية لشبكة تهريب مخدرات سوريا-لبنانية، يرعاها حزب الله	ينحدر من فرع صغير من قبيلة البقارة بمنطقة منبج
نضال محمود العلو	الرقعة	بعثي	سني	أول مرة	متعدد الوظائف والأنشطة، نائب رئيس جامعة الاتحاد الخاصة، وقيل ذلك رئيس مكتب اتحاد الطلبة في الجامعة، موظف حكومي سابق، وعضو مجلس الشباب السوري التابع للأمانة السورية للتنمية	يتمتع بعلاقات قوية مع أجهزة المخابرات (يتهم بأنه مخبر) وعلاقات أقوى مع الشخصيات المدعومة من إيران وأهمها خلف المفتاح عضو القيادة القطرية السابق ، وكذلك الناشط السياسي والثقافي المتشيع علي الشعيبي
محمد أمين الرجا	دير الزور	بعثي	سني المولد، تشيع في طفولته مع العائلة	دورة ٢٠١٦	متعدد الأنشطة، اجتماعياً وأمنياً يعمل في ملف المصالحات وإعادة النازحين خارج منطقة سيطرة النظام من أبناء بلده حطلة، وخبيراً في توزيع مساعدات وسلل غذائية على أبناء بلده المقيمين في منطقة السيدة زينب جنوب دمشق	ابن حسين الرجا، أحد أهم ناشري التشيع منذ ثمانينات القرن الماضي في بلدته حطلة، بريف دير الزور

الجدول ٦: النواب المنحدرون من الطائفة الشيعية (٢٠٢٠)

الاسم	الدائرة الانتخابية	الانتماء السياسي	العضوية السابقة في المجلس	المهنة والنشاط العام	ملاحظات
عبد الرحمن الجعفري	دمشق	مستقل	أول مرة	طبيب أسنان، مالك ومدير لمركز الجعفري، أطلق مبادرة "همس" الخيرية لمساعدة الفقراء خلال فترة الإغلاق المفروضة في شهر نيسان لمكافحة جائحة كورونا	نال شهرة واسعة في مجال الجراحة التجميلية للأسنان، حولته إلى شخصية عامة في مدينة دمشق
هادي مشهدة	دمشق	بعثي	أول مرة	معالج فيزيائي ومدير معهد التأهيل المهني للمعوقين	من عائلة مشهدة العريقة بمدينة دمشق
ناصر الناصر	حمص	مستقل	أول مرة	مقاول، عضو مجلس محافظة، ناشط في مبادرات ومشاريع ترعاها إيران للعناية بالنازحين الشيعة من بلدتي كفريا والقوعة الشيعيتين إلى محافظة حمص	ابن نائب سابق بمجلس الشعب، ينحدر من قرية عيصون بريف حمص
محمد عباس فواز	مناطق حلب	بعثي	دورة ٢٠١٦	مهندس كهرباء، عضو مجلس محافظة، عضو قيادة شعبة بحزب البعث	من قرية الزهاء الشيعية بريف حلب
فاضل كعدة	مناطق حلب	بعثي	دورة ٢٠١٦	مدرس كلية الهندسة التقنية بجامعة حلب، عرف بنشاطه برعاية الطلاب من بلدتي نبل والزهاء الشيعيتين خلال سنوات الحرب	من قرية نبل الشيعية بريف حلب
فايزة العذبة	درعا	بعثية	دورة ٢٠١٦	معلمة مدرسة سابقة، وعضوة سابقة بقيادة فرع درعا لحزب البعث، نشطت في رعاية النازحين الشيعة في دمشق من أبناء مدينتها بصرى الشام بريف درعا	بالرغم من التسوية في محافظة درعا، لم يرجع الشيعة النازحون من أهالي مدينة بصرى الشام إلى بيوتهم